الإطار التاريخي لنشوء مهنة الارشاد الاجتماعي

تمهيد

يعتبر الإرشاد الاجتماعي من المجالات التي لمّا يستقر مفهومها بعد نظراً لجدته وتعقيد العلوم التي تتدخل في تكوينه، وبهذا هو من أشد المفاهيم مثاراً للجدل، وهو ما ينعكس في الاختلاف حول نسبته إلى علم من العلوم، وحول دوره في السياق المهني، وطبيعة المرشد ذاته والمؤهلات الضرورية لتوليه هذا الدور وهو ما سيشكل موضوعاً يتناوله هذا الفصل.

⇦سيتناول موضوع الفصل هنا:

- مفهوم الإرشاد كمجال من مجالات العمل المهني الإنساني.
- الإطار التاريخي للنشوء هذا المفهوم.
- علاقته بالحقول الإنسانية المتاخمة.
- النظريات التي يعتمدها الإرشاد الاجتماعي وتطبيقاته.

أولا: الإطار التاريخي لنشوء مهنة الإرشاد الاجتماعي:

شكلت بدايات القرن العشرين الحقبة التي نشأت فيها مهنة الإرشاد الاجتماعي، وتحديداً في الولايات المتحددة الأمريكية، إلا أن نشوء هذه المهنة قد سبقه إرهاصات، ويمكن إعادة مهنة الإرشاد الاجتماعي إلى حقب زمنية بعيدة في التاريخ، فهنالك من يجد لها جذوراً تاريخية في الفكر اليوناني القديم وتحديداً في فلسفة أفلاطون وأرسطو، وهنالك من يرجع ملامح هذه المهنة إلى الطقوس الكاثوليكية في أوروبا، وعلاقة الإنسان بالكنيسة، وهنالك من يجد في المربي الذي يلازم الأمير الأرستقراطي في

أوروبا والذي يقدم له النصح في بناء توجهاته المعرفية والمهارية مثالاً على الجذور التاريخية لمهنة الإرشاد والتوجيه، إلا أن تحديد نقطة لبداية هذه المهنة يبقى مقترناً بتحقق شروطها ومعاييرها ونضج صياغتها النظرية.

⇦ترتبط بدايات مهنة الإرشاد الاجتماعي بظهور حركة الإصلاح الاجتماعي (The Social Reform Movement) في الولايات المتحدة الأمريكية وتحديداً في ثمانينات وتسعينات القرن التاسع عشر، خصوصاً مع تفاقم الصعوبات التي اعترضت الأفراد مع تعقد الحياة المدنية وتطور النظام الاقتصادي الذي تطلب تخصصاً في المهن وفق الإمكانات والميول والمهارات المناسبة التي يمتلكها الأفراد، كل ذلك أدى إلى ظهور حركة التوجه المهني تلبية للتطور الاقتصادي ولحاجات التطور الصناعي.

ويمكننا القول بأن هذه الفترة قد توجت بنشر سالمون ريتشارد لكتابه المرشد المهني عام 1881، وهو ما يمكن عده البداية الحقيقية لما يمكن تسميته بالإرشاد (Counseling)، ويشكل القرن التاسع عشر نقطة البدء في تبلور مهنة الإرشاد، وفي هذه الفترة نستطيع الحديث عن ظهور مهنة التوجيه (Guidance)، وذلك على أساسا من التطورات العلمية المتراكمة في هذا المجال، ففي هذه الفترة أنشأ (فوندت) أول معمل لعلم النفس في ألمانيا في حين أنشأ(ستانلي) معملاً آخر مخصص لعلم نفس الطفل. وفي نفس الفترة قام (فرويد) بطرح نتائجه ونظرياته في معالجة المرضى النفسيين، كما أن نتائج تجارب (إيفان بافلوف) كانت على قدر كبير من الأهمية، كما هذه الإنجازات المعرفية كانت مقدماتٍ ضرورية ظهور مجال الإرشاد والتوجيه.

و إذا كانت حركة الإرشاد الاجتماعي قد نشأت كنتيجة للثورة الصناعية، فإن اهتمامها قد انصب على التوجيه المهني، ويعود الفضل إلى مدرسة (Cogswell High School) في سان فرانسيسكو في إدخال التوجيه إلى مجال التعليم، فقد وضعت الإرشاد المهني ضمن مناهجها الدراسية لوجيه الطلاب وإرشادهم حول المجال المهني، وتوعيتهم بضرورة الاعتماد على مقدراتهم الفردية ومحاولة تطويرها وتنميتها.

و قد اتسعت حركة التوجيه المهني في المدارس، وقد تأطرت بالنظام التعليمي، وتحول التوجيه المهني من حركة ضيقة في تسعينات القرن التاسع عشر إلى حركة متسعة النطاق في العقد الثاني من القرن العشرين، ففي عام 1918 بلغ عدد المدارس التي طبقت التوجيه المهني في مناهجها أكثر من (900) مدرسة في الولايات المتحدة وحدها.

و قد ظهر بيت الخدمة (The Civic Service House) في بوسطن عام 1901م، كمؤسسة تربوية تأسست على يد باولين شاو، واستهدفت تقديم الخدمات لتلبية الحاجات التربوية للأفراد المهاجرين، وأحد الأهداف الأساسية لبيت الخدمة المدنية هو تزويد الفقراء العاملين بشكل من أشكال التعليم الجامعي. وقد ساعد في هذا الجهد الحقوقي والمصلح الاجتماعي (فرانك بارسونز) الذي كان مدافعاً قوياً عن الحقوق المدنية عامة وحق التعليم خاصة، وقد كان (بارسونز) من أبرز المهتمين بفكرة اختيار الناس لحياتهم العملية، وكيفية انتقاء خياراتهم المهنية وفي خضم عمله التوجيهي مع بيت الخدمة المدنية لاحظ (بارسونز) أن العديد من الأفراد يفضلون اللقاءات الفردية لمناقشة مستقبلهم المهني، وهو ما كان سبباً مباشراً لافتتاحه للمكتب المهني (The Vocational Bureau) عام 1908م في بيت الخدمة المدنية.

و يمكن القول أن بداية حركة الإرشاد الاجتماعي كانت من (بارسونز) وتحديداً في مجال التوجيه المهني . حيث يعتبر المؤسس الحقيقي لحركة التوجيه في الولايات المتحدة، خصوصاً بعد نشره كتاب اختيار مهنة (Choosing a Vocation) المشتمل على تقييم وتحليل الشخصية وتحليل واختيار المهنة. وقد ساهم بانعقاد أول مؤتمر للتوجيه المهني عام 1910م ومن ثم امتدت أنشطة وخدمات حركة التوجيه من المجال المهني إلى المجالات التربوية على يد (جيسي دافيز)، وبالرغم من محاولاته المبكرة في تشكيل ملامح الإرشاد المهني بمدارس مدينة ديترويت الأمريكية منذ عام 1898م، إلا أنه لم ينجح إلا عندما دعم ممارساته المهنية في المجال التربوي بما نادى به (بارسونز) من وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وبناءً على نظرية السمات والعوامل التي ظهرت على يديه.

و مع دخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى ظهرت الحاجة إلى تقييم الأفراد وتحديد قدراتهم الخاصة وإمكانياتهم النفسية والعقلية في إطار تجنيدهم في الجيش الأمريكي، وهو ما استعى ظهور حركة القياس النفسي، حيث ظهرت الاختبارات النفسية التي سمحت تحديد المعوقين عقلياً واستبعادهم، وتحديد الأفراد المتفوقين لتدريبهم، ومع نهاية الحرب وازدحام قاعات التدريس بالطلاب ازدهرت حركة القياس النفسي، وطبقت القياسات النفسية على التلاميذ لتحديد قدراتهم النفسية والعقلية والمعرفية، وهذا ما ساهم في انتقال حركة الإرشاد عموماً والإرشاد الاجتماعي خصوصاً إلى حقبة جديدة أكثر علمية ومغايرة لحقبة التوجيه المهني.

وقد اتسع دور حركة الإرشاد في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين بعدما اقتصرت على المجال المهني، فتم تناول الجانب الاجتماعي والشخصي والتربوي في حياة الفرد، وشكلت حقبة الكساد العظيم في سنوات الثلاثينات داعياً للحد من اندفاع البرامج الإرشادية في المؤسسات التربوية وتمويلها، لكن توصيةً من لجنة رئاسية عام 1938م سمحت بتمويل برامج الإرشاد في المؤسسات التعليمية لذلك كنتيجة لقانون (جورج دين) ؛ وشكّل انتهاء الحرب العالمية الثانية نقطة تحول في تطور الإرشاد، ويعتبر عالم النفس الأمريكي (كارل روجرز) أبرز الذين أسهموا في هذا التحول، إذ ساهم بنظريته(التمركز حول العميل) في تحقيق الانطلاقة العلمية الحقيقية لحقل الإرشاد، ويقدم كتابه "الإرشاد والعلاج النفسي" عام (1942م) و" العلاج المتمركز حول العميل" عام (1951م)أول منهج علمي في حقل الإرشاد، وقد حدّت هذه النظرية من دور المرشد وأكدت على الشروط التي ينبغي أن تتم فيها العملية الإرشادية، مع التأكيد على أن العميل هو مركز العملية الإرشادية.

و في سنوات الخمسينات من القرن العشرين مهدت بحوث (جان بياجيه) في علم النفس الارتقائي إلى ظهور حقبة جديدة في مجال الإرشاد، حيث أشارت هذه الأبحاث إلى أطوار النمو المعرفي لدى الطفل، وعلاقتها بالتعلم واكتساب الخبرة، وهي مسألة تمس صميم العملية الإرشادية، وبالتالي برز دور المرشد الاجتماعي في نطاق المؤسسة التعليمية في معاونة الطفل أو الطالب على بناء ذاته، ومساعدته على بلوغ أهدافه وتحقيق حاجاته في إطار مسار نموه الطبيعي، ومعالجة المشكلات التي تعترض هذا المسار.

مع حلول عام 1958م ظهر قانون التعليم الدفاعي الوطني(NDEA) والذي شمل المؤسسات التعليمية في الولايات التعليمية في الولايات

المتحدة سواء أكانت في القطاع العام أم الخاص، وقد دعم العديد من المجالات التعليمية، في العلوم والرياضيات والتعليم المهني، واللغات الأجنبية، والمكتبات المدرسية، وصولاً إلى تدعيم الإرشاد والتوجيه في المدارس، وهو ما أتاح تثبيت مهنة المرشد الاجتماعي في المؤسسات التعليمية، وترسيخ التوجيه والإرشاد عموماً والإرشاد الاجتماعي خصوصاً، كضرورة في العملية التعليمية.

وقد شهدت أعوام الستينات تطورات عديدة في الحقل الإرشادي وظهرت نظريات متنوعة، فمن أعمال (جيلبرت رن) إلى نظرية بك المعرفية، ونظرية آليس العقلية الانفعالية، وصولاً إلى إسهامات (ماسلو)، وانتهاءً بأعمال المدرسة السلوكية. كل ذلك ترافق وانطلاقة جديدة للإرشاد بما وفره قانون (NDEA) من الدعم لإقامة دورات تدريبية لتأهيل المرشدين في سبيل أدائهم لمهامهم في الحقل التربوي الاجتماعي والنفسي.

NDEA= National Defense Education Act

مفهوم الإرشاد الاجتماعي وحدوده

يتناول مفهوم الإرشاد عموماً ذلك الحقل المهني الذي يتم فيه مساعدة الأفراد على معالجة مشكلاتهم، وذلك بالاعتماد على نتائج العلوم الإنسانية كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، والطب النفسي وحتى علم نفس الجريمة والأنثروبولوجيا، وغيرها من العلوم التي تساهم في فهم المشكلات التي تعترض الإنسان والعوامل المؤثرة في تركيبها. وبالتالي يبرز الإرشاد بوصفه ذلك الحقل الذي تتقاطع فيه العديد من العلوم وتسهم فيه العديد من الحقول وحتى الأنظمة المعرفية المختلفة في الأهداف والمناهج والموضوعات.

إن هذا التداخل بين مجالات العلوم الإنسانية من وجه أول، وتعدد العلوم التي تساهم في الحقل الإرشادي من وجه ثانٍ قد تسبب في الكثير من اللغط بين الباحثين والمترجمين حول مصطلح الإرشاد، فنجد من لا يعترف سوى بالإرشاد المهني، وآخرون يقصرون الحقل الإرشادي على الإرشاد النفسي، وربما نجد من يميل إلى قصر الحقل الإرشادي على الإرشاد الاجتماعي، وغيرهم يذهب إلى جعل الإرشاد حقلاً عاماً يتفرع إلى إرشاد اجتماعي وآخر نفسي وثالث مهني ورابع تربوي...، أما مصطلح الإرشاد فنقصد به هنا ما يصطلح عليه بالإنجليزية (Counseling)، ويعرفه (د. أوكومو) بأنه مساعدة مهنية أو دعم يقدم لشخص ما لديه مشكلة وعادة ما تكون شعورية بطبيعتها. ويذهب إلى أنه يشكل علاقة تفاعلية في مكان ما بين المرشد (Counselor) والعميل (Client). وبهذا المعنى فلا يمكن التفريق بين فروع الإرشاد إلا من حيث الخلفية العلمية للمرشد، كما يُلاحظ بأنه يفترض عدم وجود فرق بين التوجيه والإرشاد، والأساس الذي يعتمده في تشخيص طبيعة الإرشاد هو كونه مهنة إنسانية، وعلى المرشد والمسترشد أن يسهما معاً في إنجاح هذه العلاقة.

ويذهب كتاب (مبادئ الإرشاد الأساسية) الصادر عن منظمة (NFCC) وهي منظمة أمريكية غير ربحية تهدف لتقديم خدمات دعم للافراد في الولايات المتحدة مذهباً مغايراً، فيقرر أن هدف الإرشاد (Counseling) هو مساعدة العميل على تعلم كيفية اتخاذه قراراته المادية فيما يمتلك. وذلك فقط من خلال تعلم الاختيار بين البدائل، ومن خلال تقدير النتائج التي يمكن أن تتأنى عن تطوير العملاء لمهاراتهم التي يحتاجونها لإدارة وضعهم المادي بدون مساعدة، ويشكل هذا الفهم منحىً اقتصادياً بعيداً عن علم النفس، وأقرب إلى النظريات الاجتماعية الاقتصادية المعاصرة، وهذا يوضح كيف يتنوع الفهم لمصطلح الإرشاد.

ويتناول معجم المصطلحات التربوية والنفسية مفهوم الإرشاد (Counseling) بذات السياق المهني، ويعرفه بأنه ((محاولة فرد مساعدة آخر على فهم مشكلات تكيفه وحلها، ومنه الإرشاد التربوي والإرشاد المهني، والإرشاد الاجتماعي)) ، ويذهب (د. شحاته ود. النجار)

على ما يبدو في معجمهما هذا إلى وجهة النظر التي تقول بأن الإرشاد حقل عام يتفرع إلى إرشاد متخصص إما في المجال النفسي أو الاجتماعي او التربوي أو المهني ... وهذا يعني أن جوهر الإرشاد واحد أما تخصيصه فيتحدد وفق الأساس العلمي الذي يستند إليه المرشد، فإن أتى من حقل الدراسات الاجتماعية فإنه مرشد اجتماعي، وإن أتى من حقل الدراسات النفسية هو مرشد نفسي، ووجهة النظر هذه فيها الكثير من الوجاهة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الإرشاد ليس علماً مستقلاً بذاته ولا حقلاً يعتمد على معارف مستقلة، وإذا أخذنا بالحسبان تفاوت المناهج العلمية بين الحقول المختلفة في العلوم الإنسانية، فإن كل مرشد يعتمد على مناهج تتفاوت كثيراً أو قليلاً مع المناهج الأخرى التي يعتمدها مرشد آخر أتى من خلفية علمية مغايرة، وهذا يقتضي أن تتعدد الطرق والنظريات في مهنة واحدة تبعاً لتعدد العلوم الداخلة في تركيب هذه المهنة.

ويرتكز مفهوم الإرشاد على فكرة العلاقة الإرشادية (Counseling Relationship) والتي تقوم بين مرشد ومسترشد، في مكان وزمان محدد، وتقوم هذه العلاقة بين طرف يمتلك المعرفة والقدرة على تشخيص المشكلة، وطرف أقل معرفة يحتاج إلى تشخيص المشكلة وتعزيز قدرته على حلها وتحقيق التكيف النفسي مع الواقع الاجتماعي، ويرى بلاكهام بان عملية الإرشاد هي تلك العلاقة التي تتيح للمسترشد التعلم والتعبير والتفكير والاختيار والتجربة والتغيير، ويلاحظ أن المسترشدين غالباً ما

يدخلون هذه العلاقة بشكل طوعي وعلى أساس الاختيار، وهو ما يجعل من هذه العلاقة علاقة تعاونية يتحمل فيها طرفا العلاقة المسؤولية لإنجاح أهدافها.

وعند تناول طبيعة هذه العلاقة الإرشادية يُلاحظ أنها قائمة على اشتراك شخصين أو أكثر في تشخيص مشكلة ما سواء أكانت نفسية أم اجتماعية أو معرفية، وتفترض هذه العلاقة تعاون الطرفين (المرشد والمسترشد) ومشاركتهما في تقرير الحل، فهي بحسب (جيلبرت) علاقة شخصية دينامية تتيح للمسترشد فرصة اتخاذ القرار المناسب لحل مشكلته، كما يشير (جلين) إلى ذات النقطة عندما يقرر بأن الإرشاد هو تلك العملية التي تساعد المسترشد على اتخاذ القرار وبالتالي نجد كل من (جيلبرت وجلين) يركزان على مسألة أن العملية الإرشادية تتدخل لمساعدة الفرد على تجاوز مشكلاته وبالتالي مساعدته في عملية اتخاذ القرار، في حين يذهب سوبر إلى أن الإرشاد هو عملية توجيه لنمو الفرد وتنمية إمكاناته، وصولاً لإعداد النشء لتحمل مسؤولياتهم الاجتماعية في المستقبل، وهو ما يجعل الإرشاد عملية طويلة الأمد ومرتبطة بالتربية والتقويم الاجتماعي النفسي.

بناء على ما سبق يخلص (صالح أبو عباة) لتقديم التعريف التالي للإرشاد: فهو ((عملية ذات توجه تعليمي، تجرى في بيئة اجتماعية بسيطة بين شخصين، يسعى المرشد المؤهل بالمعرفة والمهارة والخبرة إلى مساعدة المسترشد باستخدام طرائق وأساليب ملائمة لحاجاته ومتفقة مع قدراته كي يتعلم أكثر بشان ذاته ويعرفها على نحو أفضل، ويتعلم كيف يضع هذا الفهم موضع التنفيذ فيما يتعلق بأهداف يحددها بشكل واقعي ويدركها بوضوح أكثر وصولاً إلى الغاية كي يصبح أكثر سعادة وأكثر إنتاجية)). ويمكن أن نتلمس في هذا التعريف الطبيعة التعليمية والمعرفية للإرشاد،

ويبدو أن (تيم والفرخ) يميلان الى وجهة النظر القائلة بأن الإرشاد يتدخل تدخلاً معرفياً لحل مشكلات العميل وبالتالي فهو عملية تساعد الفرد على فهم واقعه وإعداده للمستقبل بهدف وضعه في المكان المناسب له وللمجتمع ومساعدته في تحقيق التوافق الشخصي والتربوي والمهني والاجتماعي.

ويشير(د. جودت عطوي) إلى الطبيعة المعرفية التعليمية للإرشاد، لكنه يميزه عن عملية التوجيه، ويجعل العلاقة بينهما علاقة العام بالخاص، فيقصد بالتوجيه مجموع التربوية والنفسية والمهنية التي تقدم للفرد ليتمكن من التخطيط لمستقبل حياته وفقاً لإمكاناته وقدراته العقلية والجسمية وميوله بأسلوب يشبع حاجاته ويحقق تصوره لذاته، وبذلك فالتوجيه هو الإطار العام الذي يتم فيه التخطيط وتقديم النصيحة والمعلومة للعميل فيما يخص الموقف أو المشكلة، وبالمقابل يبرز الإرشاد بوصفه العملية الرئيسية من عمليات التوجيه وخدماته، فيشكل علاقةً تفاعلية تنشأ بين المرشد والمسترشد تهدف لتوجيه نمو الفرد بحيث تصل إمكاناته إلى أقصى درجة ممكنة وفقاً لحاجاته وميوله واتجاهاته.

ويبدو جلياً ميل (عطوي) إلى حصر الإرشاد في المؤسسات التعليمية، وذلك أسوة بعملية التوجيه، فالتوجيه هو تلك العملية التي يتم بها التدخل في السلوك العام للتلميذ، في حين يتم بالإرشاد معالجة المشكلات والصعوبات التي تواجهه، ويخلص عطوي إلى تعريف الإرشاد بأنه ((مجموعة من الخدمات التي يقدمها أخصائي ذو إعداد خاص للتلميذ من أجل تحقيق درجة أكبر من الاستقرار النفسي، ومن الثبات الانفعالي، والفهم لحقيقة ذاته)).

وتذهب (د.سهير كامل أحمد) في السياق ذاته إلى التمييز بين الإرشاد والتوجيه، فترى بأننا نطلق على التوجيه اصطلاحاً ((الإرشاد)) عندما يقصد بالتوجيه (Guidance) ذاك المصطلح الأعم من جهة أولى، ويقصد بالإرشاد (Counselling) من جهة ثانية نوع التوجيه الذي يتعامل مع المشكلات الانفعالية في المقام الأول، ولكنها تقصر مفهوم الإرشاد هنا على الإرشاد النفسي، وترى أنه لا يكتفي بالتعامل مع المشكلة التي يطرحها العميل والتي قد تكون واجهة لصراعات عميقة، وإنما يركز على الفرد نفسه أكثر من تركيزه على المشكلة المطروحة، ويكون الهدف الأساس هو تهيئة العميل لحل مشكلته الراهنة بنفسه.

بالمقابل يستخدم معجم مصطلحات التربية اصطلاح (Educational Guidance) للإشارة إلى الإرشاد التربوي، ويعرفه بأنه: ((تلك العملية المنظمة والمخطط لها لمساعدة الطلاب على مواجهة صعوباتهم ومشكلاتهم التي تقلل من فاعلية العملية التعليمية ومساعدتهم على التخلص من هذه المشكلات والسيطرة عليها)). ويذهب صاحبا المعجم إلى أن الإرشاد هو تلك المساعدة التي تقدم للطلاب، والتي يمكن أن ترافق الطالب من التحاقه بالمدرسة إلى انتهائه منها، وهذا يعني أن الإرشاد غير محصور بحل المشاكل في شخصية الطالب و الصعوبات النفسية المعيقة التي تعترضه كما يطرح أنصار "الإرشاد النفسي"، بأن له دور وقائي وتنظيمي يسمح باستمرار المسيرة التعليمية للطالب دون عوائق، إضافة إلى دور رقابي يسمح بمنع الانحرافات التي يمكن للطالب الوقوع فيها، كما يحفز الطلاب على اختيار نوعية الدراسة الملائمة ويساعدهم على التكيف معها و يساعدهم على تكوين بيئة مدرسية تقوم على علاقات تربوية إيجابية تسهم في إيجاد حلول لكثير من المشكلات التي تواجههم.

ويُلاحظ هنا أن المراجع والدراسات العربية قد تناولت مصطلح الإرشاد في سياق تخصصات محددة، فإضافة إلى الإرشاد التربوي الوارد أعلاه نجد (د. سهير أحمد) وقد قصرت مفهوم الإرشاد على الإرشاد النفسي وعرفته بأنه ((عملية توجيه وإرشاد الفرد لفهم إمكاناته وقدراته واستعداداته، واستخدامها في حل مشكلاته وتحديد أهدافه ووضع خطط حياته المستقبلية من خلال فهمه لواقعه وحاضره، ومساعدته في تحقيق أكبر قدراً من السعادة والكفاية، من خلال تحقيق ذاته والوصول إلى أقصى درجة من التوافق بشقيه الشخصي والاجتماعي))، ويلاحظ على هذا التعريف أنه يربط بين التوجيه والإرشاد ربطاً وثيقاً، مما يجعل القيام بأي عملية إرشادية مستحيلاً بدون اللجوء إلى العملية التوجيهية.

ويشير (د.أحمد) إلى أن عملية الإرشاد هي تلك العلاقة المهنية التي يتحمل فيها المرشد مسؤولية المساعدة الإيجابية للمسترشد، ويكون ذلك من خلال التدخل في سلوكه واستبدال الأنماط السلوكية السلبية بأنماط أكثر إيجابية، وتتم هذه العملية بفهم وتحليل استعدادات الفرد وقدراته وإمكاناته وميوله وتحليل الفرص المتاحة أمامه وتقوية قدرته على الاختيار واتخاذ القرار، وصولاً إلى إعداده للمستقبل. وهذا الفهم الذي يقدمه (د.احمد) للعملية الإرشادية يتقاطع مع مفهوم التوجيه المهني من جهة، ويقترب من حقل الدراسات الاجتماعية كثيراً، لأن عملية اتخاذ القرار لا تتم على أسس سيكولوجية بحتة، بل تستند إلى عقلانية الفرد والتي تشكل أحد أسس السلوك الاجتماعي من جهة أولى، كما أن القرارات عموماً تتخذ بالاستناد إلى الواقع التفاعلي بين أفراد متعددين.

وتوضح (د. سهير كامل أحمد) إلى أن الهدف الأساسي للإرشاد النفسي هو مساعدة الفرد على معرفة نفسه، وفهم ذاته، وبالتالي يتناول شخصية الفرد بجوانبها المختلفة (الجسمية والعقلية والانفعالية) ويحمله على فهمها وخبراته، ووصلاً إلى تحديد مشكلاته وحاجاته، وبالتالي يستهدف معرفة المسترشد الفرص المتاحة له، وتمنية إمكانياته بذكاء إلى أقصى درجة ممكنة. وتخلص (د. أحمد) إلى أن الإرشاد النفسي عملية تعلم اجتماعي تقوم على أساس علاقة مباشرة بين المرشد والمسترشد ويفترض في الأول إلمامه بالمعلومات والأساليب السيكولوجية المختلفة اللازمة في هذه العملية. وهذه النقاط التي أشار إليها د. سهير كامل أحمد يوضح مدى الترابط بين البعدين النفسي (السيكولوجي) والاجتماعي (السوسيولوجي)، ويصل هذا الترابط إلى الحد الذي يجعل من المتعذر الفصل بينهما في مجال الإرشاد، ويصبح هنا من الضروري الدخول في علاقة تكاملية بينهما.

وعلى المقلب الآخر نجد باحثا مثل (د. ماهر محمود عمر) يقصر استخدام مصطلح الإرشاد(Counselling) على الإرشاد النفسي، ويحاول جعل هذا الاختصاص حكراً على دارسة علم النفس، وعلى ذلك فهو يتجاهل البعد الاجتماعي للمجال الإرشادي، كما يصر على المطابقة بين العلاج النفسي والإرشاد، وهي مسألة تحتاج إلى تدقيق، فيورد (د.عمر) عدداً من الآراء التي يسوقها في سبيل البرهنة على الطبيعة النفسية والعلاجية للإرشاد، محاولاً المطابقة بين العلاج النفسي والعملية الإرشادية، من هذه الأمثلة مفهوم الإرشاد لدى (ِرن) والذي هو تلك العلاقة الدينامية الهادفة بين شخصين، والتي تختلف فيها الإجراءات التي يشترك فيها كل من المرشد والمسترشد وذلك تبعاً لطبيعة حاجات المسترشد والتي تعتبر أهمها جميعاً تأكيد وتوضيح الذات بوساطة المسترشد نفسه.

ويورد (د.عمر) تعريف (ببينسكي) للإرشاد فهو بحسب الأخير ((عملية مشتملة على تفاعل بين مرشد له وضع خاص انفرادي يستهدف مساعدة المسترشد على تغيير سلوكه حتى يتمكن من إشباع حاجاته بطريقة مرضية)). ويستند (عمر) إلى مثل هذا التعريف ليقرر بأن الإرشاد نفسي بالأساس، وأنه في الآن ذاته لا يتميز عن العلاج النفسي، وهذه النتيجة غير دقيقة لأن العملية الإرشادية يمكن أن تكون بسهولة عملية جماعية تشتمل أكثر من شخصين، خصوصاً عندما تكون في منشأة تعليمية كالمدرسة، ورغم أن عمر قد أشار إلى أن النشاط الإرشادي يتركز في المدارس، إلا أنه على الطبيعة الانفرادية بين المرشد والمسترشد دون مسوغ دقيق.

ويستند (د. ماهر محمود عمر) في تقرير العلاقة بين الإرشاد والعلاج النفسي إلى رأي روجرز الذي يعتقد فيه أن الإرشاد والعلاج النفسي من طبيعة واحدة، فالمهنتان تقومان على مساعدة العميل على تجاوز الصعوبات التي تعترضه، وبالتالي فمصطلحا العلاج والإرشاد يستخدمان لدى روجرز بالتبادل. ويذهب (ريتشارد شارف) في كتابه نظريات العلاج النفسي والإرشاد إلى المذهب ذاته، عندما يصرح ومنذ بداية كتابه أن استخدامه لمصطلحي الإرشاد(counseling) والعلاج النفسي (Psychotherapy) يتم بشكل متبادل، وأن على القارئ أن يفهمها كمترادفين، ويعتقد شارف أنه من الصعب التفريق بينهما، فكلاهما يقوم على علاقة بين مرشد أو معالج مع عميل أو مريض وطبيعة المشاكل التي يتعامل معها كليهما واحدة.

ويحاول (د.عمر) أن يطابق بين حقل الإرشاد وحقل العلاج النفسي دون مسوّغ دقيق، ولمّا كانت حجة القائلين بالفصل بينهما أن الأول لا يمارس

في الأماكن الطبية بعكس الثاني، فإن التساؤل الأساسي بحسب (د.ماهر محمود عمر) هو عما إذا كانت وظيفة المرشد محصورة في المؤسسة التعليمية، ويحاجج بأن المرشد مضطر في كثير من الحالات الانتقال بالمستر إلى مركز العلاج النفسي، ويشدد على أن المشكلات التي يتعامل معها كل من الارشاد والعلاج النفسي هي واحدة في الطبيعة، مما يعني أنه من المستحيل فصل المشكلات إلى عادية يُعنى بها المرشد وأخرى مرضية يعني بها المعالج النفسي، وذلك لأنه لا يوجد أساس علمي حقيقي لهذا التصنيف، فكل البشر تعترضهم مشكلات نفسية تأخذ الطابع الطبيعي، لكنها قابلة لأن تتطور إلى حالات مرضية في حال إهمالها وتفاقمها. على أي حال يُقر (عمر) في النهاية باختلاف وحيد بين الإرشاد والعلاج النفسي ألا وهو الخبرة الميدانية، بمعنى أن الخلفية العلمية والتدريب المهني لكل منهما متشابهة، لكن هناك اختلاف في الخبرة التي يطورها كل من المرشد والمعالج النفسي في تعامله مع العملاء.

ويميز (عبد الجابر تيم وكاملة الفرخ) بين العلاج النفسي والإرشاد في عدة نقاط أهمها أن الأول يتعامل مع المرضى النفسيين ذوي الانفعال الحاد والعصابيين، بينما التوجيه والإرشاد يتعامل مع الأشخاص الأسوياء أو الأقرب إلى السواء، وبالتالي فالمشكلات الخطيرة التي تكون على مستوى اللاشعور هي من اختصاص العلاج النفسي أما المشكلات في مجال الإرشاد فهي أقل خطورة وهي على مستوى الوعي والشعور، ويبرز الفرق الجوهري في أن المعالج النفسي هو المسؤول عن إعادة تنظيم شخصية المريض وحل مشكلته، في حين أن العميل في عملية الإرشاد هو الذي يعيد بناء شخصيته وحل مشكلاته بمساعدة المرشد. كما يميز (تيم والفرخ) في كتابهما فرقاً آخر بين الإرشاد والعلاج النفسي، فالأول تدعيمي يستغرق

وقتاً أقل، فيما الثاني يتميز بالتركيز والمدة الطويلة، وعلى ذلك فمهنة الإرشاد تكون في المدارس والجامعات والمؤسسات الاجتماعية فيما مهنة العلاج النفسي تكون في مراكز العلاج النفسي أو العيادات أو المشافي.

ويرى (د. جرين على الجبرين) أن الإرشاد الاجتماعي والمعالجة النفسية طريقتان تهدفان إلى مساعدة بعض الأفراد الذين يواجهون صعوباتٍ في التكيف مع بيئتهم، بكل متغيراتها الاجتماعية والنفسية والثقافية والمادية، وكلا الطريقتين تعتمدان على الاتصال اللفظي، وذلك من خلال علاقة مبنية على الثقة، وكلا المجالين يستخدم طريقة دراسة الحالة والمقابلة العلاجية وينتهي (الجبرين) إلى أن هناك اختلافات بين المجالين، فيركز الإرشاد الاجتماعي على نقاط قوة الشخصية في المسترشد بهدف مساعدته على استخدامها، في حين يتعامل العلاج النفسي مع الأمراض السلوكية، كما أن الإرشاد الاجتماعي يمارس عادةً في المراكز الاجتماعية والتعليمية، في حين يمارس العلاج النفسي عادة في المستشفيات والعيادات المتخصصة .

ويتناول الإرشاد الاجتماعي شخصية المسترشد وبيئته الاجتماعية والجانب الأسري، في حين تقتصر العلاج النفس الفرد وأبعادها النفسية. ولا بد من الإشارة إلى قضية هامة مفادها أن مجال الإرشاد في طبيعته على نظريات ومناهج وافدة من عدة علوم إنسانية، وخاصةً علمي الاجتماع والنفس، وهذا يعني أن المرشد مضطر لاستخدام علوم وطرائق متاخمة. وهذا لا يجعل الإرشاد مطابقاً للمعالجة النفسية، خصوصاً عندما تضع بالحسبان أن مجال الإرشاد محال حديث العهد وما زال في طور التبلور.

ورغم أن (د.ماهر محمود عمر) يلتزم في كتابه (المقابلة في الإرشاد والعلاج النفسي) بالجانب النفسي للإرشاد، ورغم أنه يصر على استبعاد

الجوانب الاجتماعية والتربوية والتعليمية في مهنة الإرشاد، إلا أنه يورد تعريفات عديدة للإرشاد، وبعض منها يلقي الضوء على هذه الجوانب، فيرى مثلاً (شرتزر وستون) أن الإرشاد هو تلك العملية التي تساعد المسترشد على تعلم ما يحيط به حول نفسه، وحول علاقاته مع الآخرين، وذلك من أجل تأكيد ذاته. في حين يشير (بروكس وستفلر) إلى أن الإرشاد علاقة مهنية بين مرشد نفسي متدرب ومسترشد، ويركزان على أن الأصل في هذه العلاقة أن تكون من شخص إلى شخص، ولكنها قد تشتمل أحياناً على أكثر من شخصين. ويقرران أن هذه العلاقة تهدف لمساعدة المسترشدين على فهم وتوضيح نظرتهم لحياتهم، ولتعلم كيفية تحقيق أهداف تأكيد الذات خلال الاختيار الجيد ومن خلال حل مشكلاتهم ذات الطبيعة الانفعالية والشخصية.

وعند تناول مهنة الإرشاد في إطار بيئة المدرسة، فإنه يُلاحظ أن جانباً أساسياً تغفله التعريفات السابقة للإرشاد، فالمرشد في المدرسة مضطرٌ إلى التعامل مع الوسط المدرسي بوصفه وسطاً اجتماعياً مترابطاً، وبالتالي فإرشاد الطالب لا يمكن أن ينجح فعلاً إذا لم يتم التعامل معه في إطاره الاجتماعي، خصوصاً عندما ندرك دور الأسرة في تكوين الطالب، وهذه الجوانب يغفلها أنصار المطابقة بين " الإرشاد النفسي " و "العلاج النفسي"، كما يقصد فيها أصحاب "الإرشاد التربوي"، ومن هنا يبرز مفهوم الإرشاد الاجتماعي، الذي يقدم سياقاً متمايزاً عن تلك السابقة، ويقدم (د.جبرين على الجبرين) تعريفاً خاصاً للإرشاد الاجتماعي (Social Counselling)، ويعرفه بأنه ((علاقة مهنية بين المرشد والمسترشد، تهدف إلى مساعدة الشخص الباحث عن الإرشاد في التغلب على الصعوبات، ، وعدم التوافق الذي يعاني منه. وتتميز هذه العلاقة

بالمشاركة الوجدانية، والتركيز على النواحي الاجتماعية في حياة العميل من أجل مساعدته في إحداث تغييرات في شخصيته أو تعديل البيئة المحيطة به)).

ويبدو جلياً كيف يتفق الإرشاد الاجتماعي والفروع الأخرى للإرشاد في جوهر العملية الإرشادية، ويبدو هنا أن الخليفة العلمية للمرشد هي التي تحدد طبيعة الإرشاد، ففي الجوهر كل عملية إرشادية تحتوي بعداً تعليمياً، كما ترتكز على جعل المسترشد هو العنصر الفعّال في حل مشكلته، وهذا ينطبق على كل عملية إرشادية سواء أكانت اجتماعية أم نفسية أم تربوية أم حتى مهنية ، وبحسب (الجنرين) فإن استخدام مصطلح الإرشاد الاجتماعي يعني أنه تم تحديد العملية الإرشادية بحدود الإطار الاجتماعي وهذا يتطلب التركيز على الجوانب الاجتماعية في حياة المسترشد.

ولكن بالمحصلة لا أتفق مع طرح الجبرين في إمكانية استبعاد الجوانب الأخرى من العملية الإرشادية، وكل ما يمكن قوله هنا أن هوية العملية الإرشادية كممارسة مهنية تتحدد وفق الأسس العلمية والمنهجية التي يتبعها المرشد، وبيئة ممارسة العلمية الإرشادية، والجوانب التي تركز عليها هذه العملية.

وكخلاصة يمكن الاستنتاج بأن الإرشاد الاجتماعي هو تلك العملية التي تقوم على التواصل اللغوي والمعرفي بين المرشد الاجتماعي من جهة أولى الذي تُعهد إليه مهمة الكشف عن مشكلات الطفل والمساعدة على حلها في إطار المعطيات الاجتماعية النفسية، ومن جهة ثانية المسترشد المحتاج للعملية الإرشادية ، والذي يرنو إلى تحقيق التكيف الاجتماعي النفسي، وبذلك يكون الإرشاد الاجتماعي علاقة اجتماعية معرفية تقوم على التواصل والحوار بين المرشد والطالب.

نظريات الإرشاد الاجتماعي

برزت في مجال الإرشاد والتوجيه نظريات عديدة، وهي في عمومها نظريات وافدة من علوم إنسانية عديدة، استند إليها الإرشاد في تكوين بنية نظرية، كما أمدته هذه النظريات بتطبيقات عملية تسمح للمرشد بالوصول إلى أهدافه والتعامل مع حالة المسترشد.

بعض هذه النظريات ينتمي إلى علم النفس وبعضها الآخر ينتمي إلى علم الاجتماع، ولا نستطيع القول بأن للإرشاد عموماً وللإرشاد الاجتماعي خصوصاً نظريات مستقلة، بل كل النظريات التي يتعامل بها المرشد الاجتماعي هي نظريات تنتمي للعلوم الإنسانية التي سبق تكوُّنُها بروزّ مجال الإرشاد، والتي تشكل أساسه العلمي والنظري.

⇦ومن هذه النظريات:

نظرية التحليل النفسي (Psychoanalyse Theory):

تعتبر نظرية التحليل النفسي إحدى أهم وأقدم نظريات علم النفس، ويقترن اسمها بذكر سيجموند فرويد (1856- 1939م) الطبيب النمساوي الذي أنشأها ووضع أسسها النظرية، وتلميذيه (يونغ وأدلر) اللذين طورا هذه المدرسة واستحدثا مجموعة من المبادئ والمفاهيم الجديدة التي ساهمت في إعادة بنائها وتطوير منهجها، **ويمكننا الحديث عن مرحلتين:**

المرحلة الأولى: هي مرحلة في التحليل النفسي والكلاسيكي والتي أتسمت بسيطرة آراء فرويد في طبيعة اللاشعور والليبيدو الجنسي، في حين تحررت مدرسة التحليل النفسي من آرائه هذه في **المرحلة الثانية:** مع تطويرات كل من (يونغ وأدلر).

أ- التحليل النفسي الكلاسيكي: شكلت أفكار فرويد نقلة نوعية في علم النفس، ليس لصحة أفكاره وهذه قضية تخضع النقاش، بل لأنها أدت إلى تقديم طريقة واضحة لتشخيص الحالة النفسية للأفراد بما يسمح بسبر أغوار النفس البشرية، أطلق على هذه الطريقة اسم التداعي الحر (FREE ASSOCIATION)، وقامت على السماح للمريض بعرض حالته دون مقاطعة ومن خلال الاسترسال في عرض أفكاره، وهو ما يسمح بالوصول إلى أعماق أفكاره الدفينة وذكرياته القديمة، وقد لاحظ فرويد أن المريض يعبر عن انفعالاتٍ وأحداثٍ ومشاعر لم يكن متاحاً الوصول إليها بالطرق التقليدية الأخرى، والمقصود هنا طريقة التنويم المغناطيسي التي عابها عدم استجابة جميع الأفراد لها، وطريقة الإيحاء التي اتسمت بالسطحية، وبالتالي اقتنع فرويد بجدوى الطريقة الجديدة نظراً لمقدرتها على تخليص المريض من الانفعالات السلبية.

وقد أتاحت طريقة التداعي الحر لفرويد الوصول إلى طبقاتٍ عميقة من النفس الإنسانية، متتبعاً ذكريات مرضاه وأفكارهم اللاشعورية العميقة، وذلك عن طريق جلسات طويلة ومتكررة معهم. وخلص عمله إلى استنتاجه أن ثمة قوى نفسية باطنية تعمل على خلق اضطرابات سلوكية وعضوية لدى المريض، وهذه القوى كامنة في أعماق شخصيته، وخلص إلى أن هذه القرى هي غالباً لا واعية.

هنا بلور (فرويد) أحد أهم مفاهيم علم النفس الحديث والمعاصر، أي مفهوم اللاوعي أو اللاشعور، حيث يرى أن جزءاً صغيراً فقط من الشخصية يتسم بالوعي، في حين أن الجزء الأكبر بنقيض ذلك أي باللاوعي، ويذهب (فرويد) إلى أن منطقة اللاوعي أو اللاشعور هي مستودع الانفعالات

والأفكار التي يكبتها الإنسان منذ طفولته دون أن يعرف عن مكبوتاته أي شيء، فعملية الكبت هذه عملية لا شعورية، كما أن المكبوتات القابعة في أعماق اللاشعور تمنع الوعي من الوصول إليها، فالوعي مغلق تماماً على اللاوعي، وهذه المنطقة اللاشعورية هي مصدر الاضطرابات في الشخصية.

وقد ذهبت دراسات (فرويد) في علم النفس التحليلي إلى أن الشخصية الإنسان تمر في أعوامها الخمسة أو الستة الأولى في ثلاث مراحل حاسمة، تحدد الملامح الشخصية بشكل نهائي:

والمرحلة الأولى: التي تمر بها الشخصية هي المرحلة الفموية(ORAL PHASE)، حيث يعتبر الفم أول مناطق اللذة لدى الطفل، ويشرع في أداء وظائفه بعد انفصال الطفل عن أمه مباشرةً، حيث يتفاعل الطفل مع محيطه بمص الأشياء التي تقترب من شفتيه (ثدي الأم)، وهذا السلوك يخفي خلفه تزود الطفل باللذة الجنسية، وبالمقابل يبرز سلوك آخر يتمثل البعض وهذا الأخير يعبّر عن اللذة العدوانية. ويشكل هذا السلوكان إضافة إلى البصق وإغلاق الفم الخبرات السلوكية الأولى لدى الطفل؛

أما المرحلة الثانية: التي يمر بها الطفل فهي المرحلة الشرجية (ANAL PHASE)، حيث تنمو البنية الهضمية عند الطفل في عامه الثاني، ما يتيح ضبط عملية إخراج الفضلات، وهذا يؤدي إلى تفاعل الطفل مع هذه العملية، والتلذذ بها، كما أن عملية لمراقبة والمعاقبة التي تمارسها الأم تؤثر بشكل مباشر على تحديد ملامح الشخصية. وتبرز في العام الثالث من حياة الفرد **المرحلة الثالثة:** ويدعوها فرويد بالمرحلة القضيبية (PIFALLIC PHASE)، وفيها يتحول تركيز الليبيدو من المنطقة الشرجية إلى المنطقة التناسلية، وتتسم بتزايد الرغبة الجنسية عند الطفل نحو

الوالدين، وتبرز لدى الطفل حالة قلق تجاه علاقته بوالديه، وتبرز عقدة اوديب، ومن ثم تختفي عند انتقال الطفل إلى تقمص شخصية أبيه.

إذن على ضوء هذه المراحل الثلاث تتحد خصائص الشخصية، ويعتقد فرويد بهذا أن السنوات المبكرة من حياة الفرد تكون المكبوتات العميقة التي تتسبب باضطرابات الشخصية والعُصابات.

ويعبر فرويد عن اللاشعور بمصطلح (الهو) ويقصد به هنا النظام الأصلي من الجهاز النفسي، وهو يتكون من كل ما هو موروث وموجود منذ الولادة بما في ذلك الغرائز، ويرى (فرويد) أنه الواقع النفسـي الحقيقي.

ومن الهو ينبثق الأنا، وهو الجهاز الإداري المنفذ للشخصية، ويمثل المنطقة الواعية ويدخل في صراع مع الهو من جهة أولى، وآخر مع الانا الأعلى الذي يمثل رغبات المجتمع وسلطته وتقاليده.

والشخصية السوية بحسب (فرويد) هي تلك التي يستطيع فيها الأنا التوفيق بين متطلبات الهو ومتطلبات الأنا الأعلى.

ويلخص (فرويد) إلى أن النفس الإنسانية تلجأ فيهذا الصراع بين هذه المكونات الثلاثة إلى جملة من الآليات الدفاعية، ويبرز الكبت (Repression) بوصفه الآلية الأولى والأساسية التي تتمتع بها الشخصية، وبواسطتها يتجنب الفرد القلق، وهو حيلة دفاعية تستخدمها الأنا لمنع الأفكار المحظورة من الظهور وتلقي بها إلى ساحة اللاشعور، ويضاف إلى هذه الآلية آليات أخرى يتبعها الفرد في سياق حياته النفسية كالإسقاط، والتبرير، والإزاحة أو الإبدال، والنكوص، والإنكار، والتقمص، وصولاً إلى آلية التصعيد أو التسامي (Sublimation)، وهذه الأخيرة تعنى تحويل النزعات والرغبات العدوانية والجنسية إلى نشاطات ذات قيمة، وتبرز كآلية شديدة الأهمية في المعالجة والإرشاد على السواء.

تنتهي نظرية التحليل النفسي الفرويدية إلى أن السلوك المضطرب يظهر كنتيجة لمجموعة من العوامل، **فهناك أولاً العوامل البيولوجية**، فإذا عانى الفرد من العجز منذ ولادته فإن ذلك داعٍ لظهور القلق الذي يتحول على ساحة الشعور إلى سلوك مضطرب. **وهناك ثانياً العامل النشوئي النوعي**، وذلك نتيجة لعملية الكبت التي تقتصي الأفكار المحرمة، خصوصاً إذا امتدت إلى كبت الأفكار والرغبات الجنسية إلى فترات متقدمة من حياة المرء كمرحلة النضج، عند ذلك يظهر السلوك العصابي لدى الفرد، **ويبرز ثالثاً العامل النفسي**، فمن الممكن أن يسبب الصراع بين الأنا والهو والأنا الأعلى إلى اضطراب في سلوك الفرد وظهور العصاب، كما أن شعور الأنا بالتهديد سبب أساسي من أسباب ظهور القلق.

وتعترض نظرية فرويد عدة انتقادات، **أولها**: المبالغة في دور العامل الجنسي في توجيه السلوك، **وثانيه**: إهمال العوامل العقلية والإدراكية في تفسير السلوك والمرض النفسي، **وثالثها**: غموض مفهوم التعلم وكيفيته.

ويمكن أن نضيف أن حصر تشكيل ملامح الشخصية في المراحل الأولى من عمر الفرد يهمل التغيرات التي قد تكون حادّةً في المراحل العمرية اللاحقة، ويبقى أن معطيات هذه النظرية وفرضياتها غير قابلة للإثبات.

ب-تطورات مدرسة التحليل النفسي بعد فرويد :

برز الطبيب النمساوي ألفرد أدلر (١٨٧٠م-١٩٣٧م) بوصفه أحد أهم ممثلي اتجاه التحليل النفسي، وبوصفه أحد أبرز المدافعين عن كتابات (فرويد) لا سيّما كتابه (تفسير الأحلام)، واشترك معه في إصدار مجلة التحليل النفسي، وأصدر عام1907 كتاب (نقص الأعضاء)، الذي عرض فيه الملامح الأولية لنظريته، وما لبث أن أعلن انفصاله عن (فرويد) في عام1911م.

ارتكزت نظرية (أدلر) على مفهوم (عقدة النقص)، وحافظ على المسلّمة الفرويدية الأساسية المتمثلة في تقسيم الشخصية إلى الشعور واللاشعور، لكنه يستعيض عن العامل العضوي والليبيدو الجنسي بالعامل الإجتماعي الذي يرى أنه الأكثر أهمية، ويخلص الى أن الفرد يشعر منذ ولادته بالنقص، وهو ما يدفعه إلى إثبات ذاته وتجاوز عقدة النقص لديه، ويخلص (أدلر) إلى أن سلوك الفرد يتحدد في سباق سعيه لتجاوز النقص، ويطرح مفهوم التعويض والذي يسعى الفرد من خلاله إلى تأكيد ذاته.

و(أدلر) بذلك يتفق مع (فرويد) في إقراره بوجود قوة باطنية دافعة للسلوك، في حين يختلف عنه في طبيعة هذه القوة وموضوع رغباتها.

من ناحية أخرى يبرز كارل غوستاف يونغ (١٨٧٥م-١٩٦١م) بوصفه أحد أبرز أعلام التحليل النفسي، وكانت بدايته كما حال (أدلر) في التعاون والتتلمذ على ىد (فرويد)، ولكنه ما لبث أن أعلن انفصاله عنه في عام 1911م.

وقد اتسم باطلاعه الواسع على الفكر الشرقي القديم ودراسته للديانات القديمة والفلسفة الهندية، وعلى أي حال فقد أفاد من هذا في تقديم صيغة مغايرة للاشعور عما قدمه (فرويد) وزميله (أدلر)، فهو يرفض هذا الدور الاستثنائي الذي تلعبه الغريزة الجنسية عند (فرويد)، وبالمحصلة فإنه يبقي على عدد من المفاهيم الفرويدية، كاللبيدر واللاشعور أو اللاوعي، لكنه يستخدم الأولى بمعنى الطاقة النفسية **من جهة أولى**، ويقدم مفهوماً جديداً اللاوعي **من جهة ثانية**، ويجعله منقسماً الي اللاوعي الفردي الذي يختزن الصدمات والنزوات والرغبات المكبوتة، واللاوعي الجمعي ما فوق الشخصي الذي يحتوي ما هو

مشترك بين شعب أو جماعة ما أو الإنسانية ككل، حيث يتضمن الغرائز الفطرية وتجربة الأجيال، وهو ما يستدل عليه من خلال الأحلام والأساطير.

كما تبرز أهم إسهامات (يونغ) في طريقته الجديدة " التداعي" والتي تجاوز بها طريقة " التداعي الحر" التي أتى بها فرويد، وهي وإن كانت تشترك في العديد من المبادئ مع طريقة التداعي الحر، إلا أنها اختلفت في أسلوب تطبيقها، وهي تعتمد على استثارة المريض بالكلمات للوصول إلى العلاقات النفسية الداخلية، ويقرر يونغ بالمحصلة أن "التداعي الحر" ليس حراً في الحقيقة، لأن المريض يكون مرغماً على البوح بما يعتقد أنه من الاسرار، وهكذا يتتبع (يونغ) في طريقته أي تلكؤ أو تردد يبديه المريض إثناء استجابته للكلمات، وفي حال حصول ذلك فإنه يستنتج أن بين المريض وهذه الكلمة علاقة غير عادية استدعت منه هذه الاستجابة.

ت-التحليل النفسي والإرشاد الاجتماعي:

قدمت مدرسة التحليل النفسي الكثير من الأفكار والمفاهيم والتقنيات العلاجية التي أصبحت مستخدمة على نطاق واسع في مهن المساعدة الإنسانية، وتحديداً في العلاج النفسي، ولا يستثنى الإرشاد من ذلك، إلا أن مفاهيم هذه المدرسة التي نشأت في أسس علاجية تبدو أقرب للإرشاد النفسي من الإرشاد الاجتماعي.

وتعتبر طريقتاً لمدرسة التحليل النفسي (التداعي والتداعي الحر) طريقتان مطبقتان في الإرشاد عموماً، وهما تعتمدان على التواصل الكلامي بين المريض والمعالج، فطريقة التداعي الحر تعتمد على سرد المريض لما يجول في خاطره وهو في حالة من الاسترخاء، والانتقال من فكرة إلى فكرة حتى الوصول إلى الأفكار العميقة المتوارية في اللاشعور، وعلى المعالج تدوين الملاحظات التي تضمن التقاطه لمكامن الخلل والمرض النفسي.

في حين تقدم طريقة يونغ في التداعي تعديلاً أساسياً، فهي لا تتيح

للمريض الاسترسال، بل يعمد المعالج إلى استثارة المريض من خلال مجموعة من الكلمات، وعلى المُعالج ملاحظة ردود الفعل التي بيديها المريض تجاه كلمة معينة.

ورغم أن الطريقتان هما علاجيتان بالأساس، إلا أن المرشد الاجتماعي قادر على الاستفادة منهما ببعض التعديل عليهما، للكشف عن أي خلل ممكن، إلا أن مدى فعاليتهما في الإرشاد الاجتماعي يبقى محدوداً، وهناك تقنيات أخرى تبدو أكثر فعالية.

مثل: ملاحظة زلات اللسان والقلم، وتفسير الأحلام، كلها أساليب تتيح ملاحظة المسترشد بشكل مباشر.

وتقدم نظرية التحليل النفسي الكثير من المفاهيم القابلة للاستخدام والتطبيق على صعيد الإرشاد الاجتماعي، فيقدم فرويد مفهوم الأنا الأعلى الذي يختزل مفهوم سلطة المجتمع، ويعتقد أن أحد أسباب الخلل النفسي هو الصراع بين الأنا الفردي والأنا الأعلى، ويتيح لنا هذا المفهوم تناول مسألة الصراع الذي يخوضه الفرد مع سلطة المجتمع، وهو موضوع شائع في حالات الإرشاد الاجتماعي خصوصاً لدى المراهقين.

من ناحية أخرى يقدم يونغ مفهوم اللاشعور الجمعي، والذي يمثل الأفكار النابعة من تجربة الأجيال السابقة، وهذا اللاشعور المشترك لا يوجد إلا في جماعة أو مجتمع أو أمة أو البشرية جمعاء، ويتيح هذا المفهوم تناول المرشد الاجتماعي لمسألة الانتماء والهوية.

ويقدم أدلر كذلك فهماً اجتماعياً للفرد، عندما يقرر بأن سلوكه يتحدد من خلال رغبته في إثبات وتجاوز النقص لديه، مما يعني تفاعله مع أفراد آخرين يريدون بدورهم إثبات ذواتهم وتحقيقها، وهذا التصور الذي يقدمه أدلر يمكن أن يقدم طريقة لفهم مسألة التنافس وعقد الدونية التي قد تشغل ذهن أحد المسترشدين.

النظرية السلوكية

مناقشة النظرية:

- ظهرت المدرسة السلوكية في عام (1912)، على يد عالم النفس الأميركي **(جون واطسون)**، وقد نقلت تركيز علم النفس من الأفكار والغرائز والديناميكات الداخلية في الشخصية إلى **السلوك الظاهري** للإنسان، ورفضت الافتراضات المسبقة حول الشخصية، وانصب جلُّ اهتمامها على رصد وتوصيف القوانين التي تحكم السلوك الظاهري للإنسان، وذلك على أساس القياس والتجريب. وقد اعتمدت السلوكية على نتائج الدراسات التي تناولت علم نفس الحيوان، فواطسون نفسه كان قد انتقل من هذا العلم إلى علم نفس الطفل، ويضاف إلى ذلك جهود (بافلوف)، في الارتكاس الشرطي، ليستمر هذا التقليد في أبحاث (سكنر، وثورندايك)، على المستوى التعليمي والتربوي والإرشادي.

- **يرى أصحاب هذه النظرية** أن السلوك في الحقيقة هو مجموعة من العادات التي يكونها الفرد عن طريق التعلم خلال فترة حياته، وتنتظم هذه العادات وفق قوانين سلوكية يمكن رصدها وملاحظتها والتحقق منها عن طريق التجريب على الحيوانات، ومن ثم تهمل هذه النظرية الأحداث الداخلية التي تحدث داخل الفرد، وتركز على حوادث البيئة والتفاعل معها، كما تتجاهل العوامل الوراثية، في حين تركز على آليات التعلم، وأساليب تعزيز السلوك أو إطفائه، وبالتالي تخلص إلى أن سلوك الفرد قابل للتعديل والتغيير عند توافر شروط معينة. (1)[1]

-

[1] أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف: علم النفس الإرشادي، مرجع سبق ذكره، ص136\137، بتصرف.

- **تخلص النظرية السلوكية** إلى أنه من الممكن دراسة السلوك وفق طريقة منهجية وعلمية دون الاضطرار لافتراض حالات داخلية في الإنسان سواءً أكانت ذهنية أم عقلية أم غريزية، فالهدف الأساسي بالنسبة للسلوكيين هو الوصول إلى نظرية علمية خالصة غير خاضعة لأي نزعة ذاتية، وتستند إلى التجريب والملاحظة بالأساس، وهي بهذا تنطلق من الاهتمام بأفعال الفرد الظاهرية ووظائفه بدلاً من الاهتمام بالشعور أو الإدراك، وقابلية التعديل على السلوك البشري تنبع من كونه سلوكاً مكتسباً.

- **يستند السلوكيون في نظريتهم إلى** مسلمات أساسية تشكل في مجملها أركان منهجهم العلمي:

السلوك الذي يتشكل من سلسلة من الاستجابات الناتجة عن مثيرات المحيط الخارجي، ويبرز هنا:

1- **مفهوم المثير والاستجابة** (الاقتران أو الارتكاس الشرطي لبافلوف)، وفي حال اقتران السلوك بتعزيزات فإن احتمالية تكراره تزداد، وفي حال ترافقه مع عدم رضا فإن احتمالية تكراره تتضاءل (قانون التكرار لواطسون).

2- **مفهوم التعزيز والعقاب** (قانون الأثر لثورندايك)، وهو الآلية الأساسية التي يتبعها السلوكيون لتوجيه السلوك، كما تبرز نظرتهم إلى التعلم بوصفه ذاك التغير الدائم في السلوك الناتج عن مثيرات واستجابات مترافقة مع تعزيزات أو عقوبات (قانون التعزيز الإيجابي لسكنر)، فإذا عزز المتعلم سلوكه عند استجابة صحيحة فإنه يميل إلى تكرارها والقيام باستجابات مماثلة في المستقبل وتعميمها، وبالتالي يعتمد التعلم على المحاولة والخطأ في تكوين الفرض الأساسي للنظرية السلوكية، وهي بالإجمال قوانين مستخلصة من التجارب المخبرية على الحيوانات.

3- **يبرز هنا مصطلح (تعديل السلوك)**، الذي تستخدمه الاتجاهات السلوكية بقوة، وهو يشير إلى جملة من الإجراءات والتقنيات القابلة للتطبيق، والتي استمدت أسسها من البحوث النفسية التي تناولت السلوك البشري، ويرتبط هذا المصطلح مع فكر السلوكيين في التعلم، فيهدف تعديل السلوك إلى تدعيم السلوك المرغوب به، وإطفاء السلوك الغير مرغوب، أو حتى تشكيل سلوك جديد. وبهذا يبرز دور المرشد في تعزيز السلوك المناسب للمسترشد، وتشكيل أنماط سلوكية جديدة تساعده على تجاوز مشاكله، وذلك عن طريق تعليمه سلوكاً جديداً، والتدخل في إبعاده عن الأنماط السلوكية الشاذة. وتفترض هذه النظرية في المحصلة أن الإنسان يتعلم السلوك السوي وغير السوي من خلال تفاعله مع البيئة المحيطة، وبالتالي فالسلوك الشاذ هو ذلك الاستجابة الخاطئة التي يتعلمها الفرد.

4- **تبرز تجاه النظرية السلوكية** مجموعة من الانتقادات، فتتهم أولاً بأنها تركز على إزالة الأعراض الظاهرية بدلاً من تقديم الحل الجذري، ويمكن الرد على هذا الاتهام بأن النظرية السلوكية التي لا تعترف بإمكانية كشف الديناميات النفسية الداخلية، يمكنها بدورها أن تحاجج موجهي هذا الاتهام بأن تقديم "حل جذري" على أساس فرضيات وتخمينات غير قابلة للإثبات هو عمل غير علمي ويعرض المريض أو المسترشد في حالتنا للخطر. ويبرز ثانياً النقد الأكثر وجاهةً للنظرية السلوكية ويتلخص في أن دلائلها التجريبية مستمدة من تجارب طبقت على الحيوان ولا يمكن افتراض صحتها في الإنسان، وتبدو هذه النقطة حرجة، إذ ليس من الأخلاقي التجريب على الإنسان، في حين لا يمكن فعلياً افتراض وجود تشابه حاسم بين السلوك الحيواني والإنساني يسمح لنا بتعميم نتائج هذه النظريات بشكل مطلق. ويبقى نقد أخير يوجه لهذه النظرية مقتضاه أنها كنظرية تهمل الجوانب

الذاتية في السلوك الإنساني، وهو ما يجعل السلوك في نظر هذه المدرسة مجموعة من القوانين، وذلك بصرف النظر عن الإرادة والحرية الإنسانية والتعاطف والشفقة والدوافع الأخلاقية للسلوك. (2)[2]

النظرية السلوكية في الإرشاد الاجتماعي:

تقدم النظرية السلوكية مجموعة من **الأفكار والمفاهيم والتقنيات** التي تفيد المرشد الاجتماعي، وتتيح له التدخل على سلوك المسترشد وتوجيهه، وأبرز هذه الأفكار هي تعديل السلوك.

يتركز جهد المرشد الاجتماعي على ربط **السلوكيات الصحيحة بالنتائج الجيدة، وربط السلوكيات الشاذة بالنتائج المؤلمة وغير المرغوبة**، وذلك إما عن طريق إثابة أو معاقبة المسترشد، أو عن طريق تعليمه الترابط بين الأفعال ونتائجها، والخيار الأخير هو الأصح.

كما تبرز نظرية السلوكيين في التعليم بوصفها **نظرية قابلة للتطبيق** في عدد من النواحي، وتعليم السلوكيات الصحيحة للأفراد عن طريق التعزيزات، التي تتيح التدخل في سلوك الفرد وتوجيهه نحو السلوكيات الصحيحة، ورغم بعض السلبيات التي تتسم بها هذه النظرية، فإنها تبقى صالحة لتفسير الكثير من السلوكيات وتعديلها.

نظرية التمركز حول العميل

⇦مناقشة النظرية:

تعتبر نظرية التمركز حول العميل من أهم النظريات المتعلقة بمجال الإرشاد، وقد وضعها عالم النفس الأمريكي كارل روجرز (1902-1987)، ورغم أنها نظرية نفسية في الأساس إلا أنها نظرية مطبقة في مجالات

[2] الفرخ، كاملة، عبد الجابر تيم: مبادئ الإرشاد والتوجيه النفسي، مرجع سبق ذكره، ص64، بتصرف.

الإرشاد المختلفة ومن بينها الإرشاد الاجتماعي، وقد دأب (روجرز) على اقتراح نظريته من خلال تجربته الطويلة في خدمة الإغاثة الاجتماعية والنفسية للأطفال، لينتقل إلى مجال العمل الأكاديمي في عام (1940)، ويدرس في عدد من الجامعات الأميركية، ومن ثم قدم كتابه الأساسي "الإرشاد والعلاج النفسي" عام (1942)، ليتبعه لاحقاً بكتاب "العلاج المتمركز حول العميل" عام (1951)، وقد شكلت طريقة روجرز "العلاج المركز على العميل" التي ابتكرها عام (1938) نقلة نوعية ليس في مجال العلاج النفسي وحسب، بل في مجمل مهن المساعدة الإنسانية.

وتستند نظرية روجرز وطريقته على تراث طويل من فلسفة الفينومنولوجيا، والتي ازدهرت على يد الفيلسوف والرياضي الألماني (هوسرل)، واكتسبت معه طابعاً علمياً، ولتتحول إلى تربة خصبة لمنهج علمي جديد في العلوم الإنسانية. ويمكن القول بأن نظرية (روجرز) ليست نظرية في العلاج وحسب، بل هي نظرية في العلاقات الإنسانية، وهذا ينعكس في استخدامه لمصطلح العميل بدلاً من المريض، فالعلاج لم يعد نموذجاً طبياً، بل هو مساعدة إنسانية تسعى إلى حل مشاكل الأفراد الذين يمرون بمصاعب.

ويعتقد (روجرز) أنه يكفي في العلاج النفسي توافر عدد قليل من الشروط لإحداث التغيير المطلوب، فيجب أن يشعر العميل بالقلق، وأن يكون على اتصال بالمعالج، وأن يكون هذا الأخير حقيقياً في كلماته وسلوكه غير اللفظي، وأن يشعر كليهما بقبول الآخر، وعلى المعالج أن يتقبل العميل ويقوم بمعالجته دون شروط مسبقة، وأن يكون قادراً على فهم أفكاره و خبراته ومشاعره.

وتقوم نظرية (روجرز) على تجاوز البعد المعياري الطبي في العلاقة بين المساعد (المرشد الاجتماعي في هذه الدراسة) والطالب، وهذا ما انعكس على أسلوب

المساعدة الإنسانية، والهدف الأساس في هذه النظرية تغيير مفهوم الفرد عن ذاته، فالصحة النفسية بالنسبة (لروجرز) تعتمد على احترامه لذاته، وقدرته على الاندماج وشعوره بالرضا، فهي نظرية (تعتمد على العلاقة المهنية في العلاج التي تعتبر أحد أهم المبادئ التي تقوم عليها خدمة الفرد كأحد مجالات العمل الاجتماعي) (1) وبالذات بالنسبة (لروجرز) هي جملة من الخبرات والتصورات التي توصف الأنا وترسم تصورها لنا، فالذات هي الجزء المتمايز من المجال الظاهري (أي مجال الخبرة الشعورية واللاشعورية)، والذي تنتظم فيه الإدراكات والقيم، وللذات خاصية الترميز فالمجال الظاهري قد يتحول إلى شعوري في حال ترميزه وقد يتحول إلى لاشعوري في حال عدم ترميزه.(2)

يقرر (روجرز) أن الهدف الأساسي لدى الفرد هو تحقيق الذات، وبالتالي يشكل مفهوم الذات نواة نظريته، وهي تمتاز بالنمو والتفاعل مع البيئة المحيطة، إن كان بالتكيف أو بعدم التكيف، والخبرات التي لا تتكيف الذات معها تبرز بوصفها تهديدات، كما تمتاز الذات بالتغير عن طريق التعلم، والتفاعل مع الآخرين، وقد تمتص قيمهم بصورة مشوهة أو صحيحة (ويمكن تعريف مفهوم الذات على أنه منظومة من الآراء الداخلية تتفق مع إدراك الشخص لنفسه بشكل منفرد، إدراكه لنفسه في علاقته مع الآخرين، إدراكه لنفسه في علاقته بالبيئة والمحيط من حوله). (3)

وبهذا تتجه هذه النظرية للتركيز على طبيعة الإنسان الميالة للنمو والتحرك الإيجابي دائماً، ولهذا تحديداً من الضروري التركيز على العميل والانصراف إلى وصفه وصفاً دقيقاً مع تجنب أي تأويل أو تفسير يفترض فكرة مسبقة عن ذات الفرد. وعلى هذا فإن الشخص إذا ما تم قبوله بما هو عليه فإنه يصبح فرداً فعالاً وعضواً جيداً في المجتمع.(1)[3]

[3] المرجع السابق ذاته، ص28، بتصرف.

وتخلص نظرية (روجرز) إلى اختلالات الشخصية تنبع من تشوه واضطراب مفهوم الفرد عن ذاته، ومن أبرز أسباب هذا الاختلاف عدم قدرة الفرد على التكيف مع البيئة المحيطة، وبالتالي تهدف عملية المعالجة والإرشاد بهذه الطريقة (إلى فهم واقعي للذات وإلى زيادة التطابق بين مفهوم الذات المدرك ومفهوم الذات المثالي الذي يعني تقبل الذات وتقبل الآخرين والتوافق النفسي والصحة النفسية).(2)[4]

إن التصور الرئيس الذي تقدمه نظريه (روجرز) يستند إلى مجموعة من المفاهيم والأفكار التي يكونها الفرد في سياق سعيه لتحقيق ذاته، فالأشخاص الذين يعيشون في مجتمع متغير يمرون بخبرات متعددة، وردود الأفعال التي تصدر عن الأفراد تنبع من خبراتهم ومن الطريقة التي يدركون بها الواقع، وعلى ذلك فالطريقة المثلى لفهم سلوك الفرد هي فهم الإطار المرجعي الداخلي فيه، والذي تنبع منه سلوكياته المختلفة، وهذا الإطار المرجعي الداخلي يشتمل على جملة من الأحاسيس والإدراكات والمعاني والذكريات، والتي تكون مفهوم الذات لديه، وعن هذا المفهوم تصدر الكثير من العادات السلوكية، ولهذا يعتبر احترام الذات أساس مفهوم الفرد عن ذاته، وأساس السلوك السليم.(3)[5]

ووجهت لنظرية (روجرز) مجموعة من الانتقادات، أهمها: أن النظرية لم تقدم تصوراً شاملاً لطبيعة الإنسان، وذلك لتركيزها على مفهوم الذات، وهي بالتالي أهملت جوانب أخرى للشخصية كالجانب المهني والتربوي، وكان اهتمامها بالجانب الاجتماعي خجولاً، ذلك أنها تصب اهتمامها على معالجة الشخص نفسه على حساب الاهتمام بمشاكله وبيئته. كما يرى بعض الباحثين أن نظرية التمركز حول العميل تقتصر على الجوانب الشعورية ولا تهتم بالجوانب اللاشعورية من وجه أول، في حين تهمل الاختبارات والقياسات النفسية من وجه ثانٍ.(4)[6]

---

[4] الفرخ، كاملة، عبد الجابر تيم: مبادئ الإرشاد والتوجيه النفسي، مرجع سبق ذكره، ص56-57.

[5] الجبرين، جبرين علي، أساسيات الإرشاد الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص28-29، بتصرف.

[6] الفرخ، كاملة، عبد الجابر تيم: مبادئ الإرشاد والتوجيه النفسي، مرجع سبق ذكره،ص58، بتصرف.

ويمكن القول بأن نظرية (روجرز) وعلى الرغم من كل الانتقادات التي وجهت إليها قد قدمت نموذجاً ثورياً في العلاقة الإنسانية بين المعالج والعميل، يتجاوز العلاقة الطبية، ويتيح تطبيقه في مختلف مهن المساعدة الإنسانية، ويقصي مفهوم المريض ويحل مكانه مفهوم العميل، مما يطرح دوراً جديداً للمعالج أو المرشد من جهة، وللإنسان صاحب المشكلة من جهة أخرى، وبالتالي تطالبنا النظرية بفهم العلاقة بينهما على أنها علاقة تكاملية لحل مشاكل العميل وتعزيز مفهومه عن الذات ومساعدته على تصويب علاقته مع بيئته المحيطة.

⇦التمركز حول العميل في العملية الإرشادية:

تتميز نظرية (روجرز) باستغنائها عن مصطلح المريض، والاستعاضة عنه بمصطلح العميل، للإشارة بأن العلاقة الطوعية بين المُعالِج والمُعالَج، هو ما يتيح تطبيقها في الإرشاد الاجتماعي، فطبيعة العلاقة بين المرشد والمسترشد تواصلية تقوم على المسؤولية المتبادلة، والهدف النهائي للفرد هو تحقيق الذات، وهنا يتناول المرشد الاجتماعي مفهوم الفرد عن ذاته، وعلاقته مع الآخرين، وتقبل الفرد لنفسه ولأقرانه، صياغته لهويته الذاتية، وعلى المرشد أن يقود العميل إلى تصحيح أفكاره عن ذاته وزيادة مطابقتها للواقع، بما يضمن تحقيقه للتكيف المطلوب.

وتبرز طريقة (روجرز) في العلاج كطريقة إرشادية تصلح للتطبيق في الإرشاد الاجتماعي، فهي تعتمد على بناء الثقة بين المرشد والمسترشد، والقبول المتبادل بين طرفي العملية الإرشادية، وتحملها لمسؤولية نجاح العملية، والابتعاد عن التكليف في طقوس المعالجة، والاستعاضة عنها بعلاقة إنسانية متكافئة تسمح للمسترشد الاستجابة برضا وقناعة للنصائح والإرشادات التي يقدمها المرشد الاجتماعي، والتي تسمح بتوجيه سلوكه بناءً على مفهومه السليم عن ذاته.

النظرية العقلانية الانفعالية

✍مناقشة النظرية:

طرحت النظرية العقلانية الانفعالية من قبل ألبرت اليس عام 1977م، وقدمت وجهة جديدة في تفسير السلوك، وارتكزت على افتراض أساسي مفاده أن قوى بيولوجية واجتماعية تقود الفرد إلى التفكير العقلاني، وبالتالي يصدر السلوك السوي عن الافكار العقلانية، فيما تصدر السلوكيات المرضية والاضطرابات الانفعالية عن أفكار لاعقلانية بطبيعتها، وبهذا وضعت النظرية هدفها النهائي المتمثل في إيصال الفرد إلى التفكير العقلاني، مما يجعل من عملية العلاج ذات طابع تعليمي.

وترى نظرية (اليس) في العلاج العقلاني الانفعالي أن هناك تشابكاً بين العاطفة والعقل ومن المتعذر الفصل بينهما، فالبشر يفكرون ويتعاطفون في آنٍ واحد، ومن النادر أن يتصرفوا بدون إدراك، فحتى تجاربهم الحسية والشعورية يتم فهمها بالاستناد إلى موقف معين خاضع للتفكير العقلاني.

ويقرر (اليس) وفق هذا السياق أن الاضطرابات تنجم عن أفكار لا عقلانية تستحوذ على الفرد، واستنتج أن الأفراد المضطربين يحملون أفكاراً لاعقلانية أكثر مقارنة بالأفراد الأسوياء. وعقلانية الأفكار التي يتحدث عنها هنا تتوقف على انسجامها مع أهدافنا وقيمنا الأساسية عن الحياة، وصولاً إلى تحقيق الفاعلية الاجتماعية، وهذا ما يجعل الأفكار اللاعقلانية هي تلك التي لا تخدم تكيفنا مع الوقائع وانسجامنا في الحياة.

وتخلص هذه النظرية إلى أن السلوك الإنساني سلوك مكتسب، وهو قابل للإزالة والتعديل، وذلك استناداً إلى فرضية الأفكار هي التي تحدد سلوك الإنسان، ونستنتج أن السلوك غير العقلاني هو سلوك متعلم ضد

المراحل المبكرة في الطفولة، وتقرر النظرية أن الفكر والانفعال مترابطان، وتقرر النظرية بأن الإنسان يعبر عن فكره باللغة، وكل من مجال الفكر والانفعال ينتج عنهما الكلام مع الذات، أو الكلام الذاتي، فإذا كانت الفكرة غير عقلانية صاحبها اضطراب سلوكي.

✍النظرية العقلانية الانفعالية والإرشاد الاجتماعي:

تقدم النظرية العقلانية الانفعالية أسلوباً جديداً للإرشاد، فهي تتيح للمرشد الاجتماعي أن يتدخل في توجيه سلوك الفرد عن طريق تصحيح الأفكار الموجهة له، وبالتالي ما يستند إليه المرشد الاجتماعي هو عقلانية الأفكار وقدرتها على الإقناع في مقابل مجموعة من الأفكار اللاعقلانية التي تولد السلوكيات الشاذة، وعلى المرشد الاجتماعي في هذه الحالة تبيين لا عقلانية الفكرة الموجهة للسلوك الشاذ، وإيضاح نتائج هذا السلوك، وتقديم فكرة عقلانية بديلة، تتيح بناء سلوك علمي سليم وناجح، من جهة أخرى يبرز أسلوب التحكم في الانفعال وسيلة أساسية تساعد المسترشد في تجاوز الصعوبات التي تواجهه، وذلك يربطها بأفكار عقلانية موجهة تساعده على توجيه انفعالاته أو الإضعاف من أثر الانفعالات السلبية.

النظرية المعرفية

✍مناقشة النظرية:

أسس هذه النظرية عالم النفس الأمريكي أرون بيك 1921م، الذي سعى إلى تقديم نظرية بديلة عن نظرية التحليل النفسي بعدما أثبتت تجاربه فشلها في تقديم تفسير للاكتئاب، وهذا ما دفعه إلى التعمق في دراسة هذه الظاهرة النفسية، وهذا ما دفعه إلى التعمق في دراسة هذه الظاهرة النفسية، وعندما لإدراكنا للواقع، وهي أيضاً ذات منشأ إدراكي معرفي،

ويمكن القول بأن هذه النظرية هي ذات جذور اجتماعية، إذا أخذنا بعين الاعتبار حقيقة أن الأصل الإدراكي لسلوك الفرد يتأثر بشكل مباشر بوجوده بين أشخاص آخرين في المجتمع، مما يجعل العلاقات الاجتماعية عاملاً رئيسياً في تكوين وتحديد السلوك.

✍النظرية المعرفية والإرشاد الاجتماعي:

تقدم النظرية المعرفية وسيلة لإرشاد الفرد اعتماداً على التواصل المعرفي بين المرشد والمسترشد، فهي تتيح تدخل المرشد الاجتماعي في البنية المعرفية للفرد، وذلك بهدف تعديل أفكاره السلبية ومن ثم التخلص منها، وصولاً إلى تقويم سلوك الفرد وحمله على العمل بفاعلية.

وإذا كانت النظرية المعرفية ترى بأن عملية الإرشاد هي عملية تعلم، فإن ذلك ادعى إلى تطبيقها في مجال المؤسسات التعليمية، وهنا تصبح الطريقة المعرفية ضرورة لدى المرشد الاجتماعي للتدخل في توجيه سلوك الناشئين، وذلك عن طريق تصحيح تصوراتهم الموجهة للسلوك، خصوصاً في حالات الطفل العدواني، وأزمات المراهقة وغيرها من الحالات.

إن مجموعة التصورات والأفكار المشوهة التي يرصدها بك هي سبب الخلل النفسي، ومن ثم الاضطراب السلوكي، وهذا يعني أن على المرشد الاجتماعي أن يتدخل في بناء تصورات إيجابية عن الذات والعالم والمستقبل، ومنع الأفكار السلبية من التحكم في المسترشد، وذلك لتحقيق هدف أساسي ذي طابع اجتماعي ألا وهو اندماج المسترشد في حياته مع الواقع الاجتماعي، وفي علاقته مع أفراد آخرين، وصولاً لحمل المسترشد على بناء جسور الثقة مع المجتمع.

نظرية العلاج الواقعي

✍مناقشة النظرية:

تم تطوير نظرية العلاج الواقعي من قبل عالم النفس الأمريكي ويليام جلاسر (1925-2013) والذي اعتقد بضرورة علاج العملاء على أساس أن كل واحد منه مسؤول عن حياته، ومن ثم اختياراته التي يتخذها، والتي تحدد مسار سلوكه وترسم ملامح شخصيته، وهو بذلك يرفض الفكرة التقليدية عن المرض العقلي، والتي تطرحها النظريات السابقة، فالذي يحدد الصحة النفسية لدى الفرد هو النجاح أو الفشل اللذان يترتبان على اختيارات الفرد بالمقام الأول.

وترتكز نظرية (جلاسر) في العلاج والإرشاد على تعميق مبدأ المسؤولية في الفرد، والتي تتيح للأفراد تحقيق أهدافهم بما لا يحرم الآخرين من ذلك أيضاً، فالفرد الطبيعي يتميز بالاستقلالية والمسؤولية والقدرة على تلبية حاجاته وإشباعها بطريقة صحيحة، وبالتالي فهدف العلاج الواقعي هو تعليم الفرد ومساعدته على اتخاذ أفضل الطرق لتلبية هذه الحاجات. وقد تم تصميم هذا العلاج لمساعدة الأفراد على التحكم في سلوكهم واتخاذ قرارات صعبة وجديدة في حياتهم، وهنا تبرز نظرية الاختيار التي تفترض أن الناس مسؤولين عن جيرانهم بما يشمل أفعالهم ومشاعرهم وأفكارهم.

وتعتمد نظرية (جلاسر) في العلاج الواقعي على الكشف الذاتي والمواجهة الشخصية بين المعالج والعميل، وتستهدف استكشاف سلوك العملاء من خلال حضورهم والتزامهم بالعلاج، وبهذه الطريقة تسعى إلى إحداث تغيير على مستوى التفكير والمشاعر. والهدف المركزي للعلاج

الواقعي هو مساعدة العملاء على الاختيار واتخاذ إجراءات لتغيير حياتهم ومن ثم السيطرة عليها، هي بذلك تجعل التفكير أساس العملية العلاجية وتجعل من المشاعر موضوعاً ثانوياً.

ويبدو أن نظرية العلاج الواقعي تثق بقدرة الفرد على ملائمة خبرته التعليمية مع أوضاعه الراهنة، وهي تعتقد بقدرة كل شخص على توجيه حياته نحو النجاح على أساس المسؤولية، وهي تهدف إلى مساعدة الفرد في تلبية حاجاته الأساسية التي تتمثل في الحاجة إلى الانتماء والقوة والحرية والبقاء، وذلك من خلال طرق مسؤولة لا تتعارض مع الأفراد المشاركين في مجتمعه، والسبيل في ذلك هو تعليم الفرد كيفية اتخاذ القرار، وذلك بعيداً عن تناول العمليات اللاواعية في مسار العلاج، فالسلوك اللاتكيفي الذي قد يتبعه الفرد ينبع من فشله في إشباع حاجاته، مما يسبب القلق والألم، ويلجأ في هذه الحالة إلى السلوك الاندماجي، فإما أن يندمج مع الآخرين ويحافظ على هذا الاندماج، مما يزيل القلق، أو يفشل في الاندماج معهم فيلجأ إلى الاندماج مع ذاته، والذي يعني انطوائه داخلها بحثاً عن الطمأنينة، وهو ما يؤدي بدوره إلى ظهور أعراض نفسية واجتماعية، كالاكتئاب والسلوكيات المتعارضة مع المجتمع، والإدمان.....

✍العلاج الواقعي وتطبيقاته في الإرشاد الاجتماعي

تنظر مدرسة العلاج الواقعي إلى السلوك السوي باعتباره ذلك السلوك الناجح، ومن ثم فهي تقيم الفرد من خلال نجاحه الآن في التكيف مع المواقف التي تعترضه، وبالتالي فهي لا تنظر إلى ماضي الفرد بل إلى حاضره، ولا تتناول تاريخه بل الحالة الحالية التي هو عليها، وبالتالي فهي تساعده على مواجهة المواقف بمسؤولية، وحل مشاكله بملائمة خبرته مع الوقائع.

وتطرح النظرية الواقعية مفهوم النجاح السلوكي والذي هو مفهوم اجتماعي بالأساس، مما يتيح تطبيقه في مجال الإرشاد الاجتماعي، فنجاح سلوك الفرد يعتمد على نجاحه في التكيف مع واقعه الاجتماعي، وإنجاح علاقاته مع الأفراد المشركين معه في الجماعة، ولا يمكن لأي سلوك أن يتسم بالنجاح إن هو كان خارج الإطار الاجتماعي.

وتطبق طريقة الإرشاد بالواقع من خلال مجموعة من الإجراءات، إذ يجب أن ترتكز عملية الإرشاد على كسب الثقة بين المرشد والمسترشد، وتحقيق الاندماج في العملية الإرشادية، ومن ثم إجراء الملائمة الذاتية التي تتيح للعميل الكشف عن مشكلته بمسؤولية والمساهمة في حلها، ومن ثم فحص السلوك الراهن للعميل وعلى أساس هذا الفحص يتم تحديد موضع الخلل السلوكي، وبناءً عليه يتم الاشتراك بين المرشد والمسترشد في وضع خطة للسلوك الصائب وتحديد المعوقات والحلول.

ويمكن للمرشد الاجتماعي الإفادة من نظرية العلاج الواقعي في حل مشكلات عدة، أبرزها مشكلة الاندماج الاجتماعي التي تعترض الأطفال أو المراهقين، وحل مشكلات التعلم من خلال زرع المسؤولية في الطالب، ومن مميزات هذه الطريقة أنها تتيح إمكانية الإرشاد الجماعي، وبالتالي فهي قابلة للتطبيق على الصفوف الدراسية وإرشاد كل المراهقين.

النظرية الوظيفية في النظام الاجتماعي

✍مناقشة النظرية:

ظهر الاتجاه الوظيفي على يد أوغست كونت (1789-1857) الذي يعتبره كثيرون مؤسس علم الاجتماع، لكن الأسس النظرية لهذا الاتجاه لم يتبلور إلا على يد عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم (1858-

1917)، والـذي اشـتهر بأفكـاره فـي تقسـيم العمـل، والتضـامن، وتفسـير النظام الاجتماعي، ويعتبر كتابه (تقسيم العمل في المجتمع) الـذب أصـدره عام (1893م) الأسـاس الـذي بنـى عليـه نظريتـه الاجتماعيـة، كمـا يشـكل كتاب (الانتحار) نقلة نوعية في منهجية علـم الاجتمـاع الوضـعي الـوظيفي، وقد كانت جهود (دوركهايم) في هذا الكتاب منصبة في جانـب كبيـر منهـا على دحض التفسير النفسـي –الفرويـدي علـى وجـه الخصـوص- للاخـتلال السلوكي، وصولاً للاستعاضة عنه بتفسير اجتماعي وضعي.

قدم (دوركهايم) في نظريته عن النظام الاجتماعي اتجاهاً جديـداً مغـايراً للاتجاهـات السـابقة سـواء أكانـت نفسـية أم اجتماعيـة، والجديـد أنـه أخـذ يبحـث عـن الظـروف الاجتماعيـة الخارجيـة بوصـفها مصـدر الـدافع والفكـر والسلوك لدى الأفراد، فللمجتمع أسبقية على الفـرد، ومـن هنـا وجـد أن لـه سلطة على الفرد من خلال مجموعة من الآليـات القهريـة التـي ضـبط بهـا سلوك الفرد داخلياً وفق نمط اجتماعي محدد.

وينطلق (دوركهايم) من افتراض أساسي مفـاده أن الحقـائق الاجتماعيـة موجودة خارج حياة الأفراد ومداركهم، وأنها تمارس سـلطة إرغـام علـيهم، ورغم ذلك لا يدرك الأفراد أنهم مرغمون على اتخاذ السلوك الذي يتبعونه، متوهمين أنهم يتخذون خياراتهم بحرية، وتحمل هذه الفكرة فـي طياتهـا نظرة تشاؤمية تقصي الحرية الفردية من سياق التحليل الاجتماعي، وتنظر إلى البنى الاجتماعية على أساس السـلطة الاجتماعيـة والإلـزام الاجتمـاعي، فهي تتحكم بسلوك الفـرد مـن خـلال آليـات متعـددة، كالعفويـة والـرفض الاجتماعي وسوء الفهم وغيرها.

وتتصف البنية الاجتماعية بأنها تلقائية، فهي موجودة قبل وجود الفـرد فيها، وهي كمنظومة تعمل من تلقاء ذاتها، حتى قبل وجود الفرد. وتتسم

البنى الاجتماعية من ناحية ثانية بالجبرية، فهي ملزمة وتخضع الأفراد لها، والفرد ليس حراً في الخروج عن المنظومة، ومن ناحية ثالثة نجد أن البنى الاجتماعية تتصف بالعمومية، فهي غير محددة بمكان ما، ويمكن فهم هذه الخاصية الأخيرة بمعنى شمولية البنية الاجتماعية أو كلاليتها، ويمكن القول بأن تحليل (دوركهايم) يقودنا إلى نتيجتين أساسيتين، الأولى مفادها أن تقسيم العمل والتضامن الاجتماعي، والتواصل بين الأفراد والمجتمعات تشكل عاملاً حاسماً في تطور المجتمع، أما الثانية فهي حقيقة أن تحليل (دوركهايم) يخضع الواقع المادي والاقتصادي لسلطة الأفكار، بمعنى أن نمط التفكير ومستوى الوعي في المجتمع هو الذي يحدد قبل أي شيء نمط الإنتاج، فتقسيم العمل وليس العمل هو الذي يقود التطور الاجتماعي.

وتناول (دوركهايم) البنى الاجتماعية من خلال تقسيم العمل، حيث افترضت نظريته أن الوحدة الاجتماعية قائمة على أساس التضامن ويمكن القول هنا بأن مفهوم تقسيم العمل جاء ليشكل نواة لنظرية بديلة عن النظريات الصراع، وأحال هذا الصراع إلى مشكلة تباين الدور التي ستؤدي بدورها للوصول إلى وحدة اجتماعية متماسكة، يوضح هنا (دوركهايم) بأن تقسيم العمل بهدف من الناحية الوظيفية إلى تحقيق التضامن وتكامل أعضاء المجتمع، على شاكلة ذلك الذي يحدث بين أعضاء أو اجزاء الجسد الواحد للكائن الحي.

وتقرر نظرية (دوركهايم) الوظيفية أن هناك نمطين من التضامن ينجمان عن حقيقة تقسيم العمل، وذلك تبعاً لمستوى العمل، وطبيعة أدوار الأفراد، وكثافة الأفراد المجتمعين، وطبيعة الأفكار التي توجه سلوكهم، أما النمط الأول فهو التضامن الآلي، وهذا يكون في المجتمعات التي يتصف

أفرادها بالتماثل والتشابه، نتيجة لمحدودية المهن، مثل المجتمع الزراعي حيث تتصف جميع المهن بطبيعة واحدة، ويقترح (دوركهايم) أن مشاعر وأفكار هؤلاء الأفراد متشابهة، وهم يتبعون ذات المقدس، ويكون التضامن هنا نتيجة لتشابه هؤلاء الأفراد وليس نتيجة الوعي أو الاتفاق. أما النمط الثاني فهو التضامن العضوي، ويكون على أساس من تنوع الأفراد وتباين أدوارهم، وذلك بسبب تعقد المجتمع وزيادة عدد الأفراد، ونتيجة لذلك يجتمع الأفراد المختلفون لتحقيق التكامل على أساس الاتفاق، ويشبه (دوركهايم) اتحادهم باتحاد أعضاء الجسد الواحد التي تتكامل فيما بينها رغم اختلافها.

ويخلص (دوركهايم) إلى أن ما يربط بين الأفراد على مستوى التضامن الآلي وهو الضمير الجمعي، والذي يتألف من تصورات وعواطف شائعة توجد لدى أغلب أفراد الجماعة، ومن ناحية أخرى يضغط الضمير الجمعي على الأفراد حتى يخلق بينهم تماثلاً في الأفكار. بالمقابل يتحول الضمير الجمعي في حالة التضامن العضوي إلى نوع من الإلزام القانوني والعرفي الذي يؤدي إلى النظام الاجتماعي والاتفاق بين أفراده.

لا يكتفي (دوركهايم) بصياغة أفكاره نظرياً بل يقدم منهجياً دلائل قوية على صحة نظريته، ففرضية قهرية النظام الاجتماعي التي تؤسس نظريته، ستصبح موضوع استقصاء في كتابه (الانتحار)، حيث يتناول فيه ظاهرة الانتحار بوصفها ظاهرة اجتماعية، متجاهلاً البعد النفسي. وعمد (دوركهايم) إلى الربط بين معدلات الانتحار والفروق بين درجات التضامن الاجتماعي بين جماعات مختلفة، وانتهت دراسته إلى أن المجتمعات التي تتسم بتضامن ضعيف هي التي تزداد فيها حالات الانتحار بين أفرادها.

كما رأى (دوركهايم) أن هنالك قوى اجتماعية خارجة عن الفرد تؤثر في زيادة معدلات الانتحار، وخلص إلى أن روابط التضامن الاجتماعي، والتكامل الاجتماعي، والتنظيم الاجتماعي، هذه جميعها هي التي تحدد سلوك الفرد الانتحاري، وانتهى إلى أن الأفراد الذين يدمجون بقوةٍ في بنى اجتماعية تنظم أفكارهم هم الأقل ميلاً للانتحار.

تبقى الإشارة إلى أن المدرسة الوظيفية ستجد امتدادها اللاحق في إسهامات (ميرتون وتالكوت بارسونز)، وجهود الأخير ستؤدي إلى ظهور نظرية الأنساق الاجتماعي، وهي نظرية وظيفية في أساسها، ولكنها تتجاوز الوظيفية التقليدية في جوانب كثيرة، مما يتطلب وضعها في سياق منفصل، في حين يمكن إدراج إسهامات (ميرتون) في إطار نظرية الدور الاجتماعي.

النظرية الوظيفية في الإرشاد الاجتماعي

تقدم نظرية (دوركهايم) الوظيفية عدة أفكار اجتماعية تصلح للإرشاد الاجتماعي، وترفد المرشد الاجتماعي بمجموعة من الطرائق والتقنيات التي تسمح له بتشخيص مشاكل مسترشديه، والتدخل لحل مشاكلهم عموماً، والاجتماعية منها خصوصاً، خصوصاً إذا علمنا أن هذه النظرية تعتبر أن المشكلة الفردية اجتماعية المنشأ بالأساس، وهي وجهت نقداً إلى الأساليب السيكولوجية التي تقدمها النظريات النفسية بشكل عام، ولا سيما نظرية التحليل النفسي التي تغزو المشكلة الفردية إلى عوامل في شخصية الفرد وتقصي الأبعاد الاجتماعية لها.

ويتركز الإرشاد الاجتماعي وفق نظرية (دوركهايم) علة مشكلة انتظام الفرد في الجماعة، ومدى قدرته على الاندماج مع النظام الاجتماعي، كما تتبع هذه النظرية دراسة السلوكيات الفردية النابعة من ضغط المنظومة

الاجتماعية، وتميزها عن تلك النابعة من الفرد ذاته والتي قد تناقص منظومة المجتمع، وبالتالي على المرشد الاجتماعي ألا ينظر إلى السلوك الشاذ بوصفه مرضاً عقلياً، أو أنه نابع من خلل في الشخصية، بل هو ناتج عن خلل أو ضغط اجتماعي، ناجم عن تغيرات مجتمعية وثقافية، واضطراب في دور الفرد ومنظومته القيمية، فالنظرية الوظيفية لا تتيح لنا النظر إلى الفرد بمعزل عن مجتمعه.

على أية حال إن أي طريقة مستنبطة من وظيفة (دوركهايم) ستسند إلى دراسة وضعية الفرد في المجتمع عموماً، وما مدى انسجامه مع التكامل الاجتماعي ومنظومة التضامن التي ينتمي إليها، ويتطلب هذا من المرد الاجتماعي أن يقوم بإحصاءات على مستوى المجتمع المدروس إذا كان ضيقاً، كالمدرسة أو العائلة الممتدة الت ينتمي إليها الفرد، والاستناد إلى إحصاءات على مستوى المجتمع الأعم، ومن ثم دراسة الانتماء الفكري الاجتماعي للفرد، والمنظومة الثقافية التي تدفع الفرد أو تمنعه عن سلوك ما، وهو ما يمكن تسميته بالضمير الجمعي في حالة المجتمعات ذات التضامن الآلي (كالمجتمع الزراعي)، أو منظومة الإلزام القانوني والعرفي في حالة المجتمع ذي التضامن العضوي (المجتمع الصناعي)، فما تطالبنا به وظيفية دوركهايم هو دراسة موقع الفرد في منظومة تتكامل أجزاءها، وفحص مدى قدرته على أداء وظيفته الاجتماعية. ويمكن تطبيق هذه الطرائق على مجتمع المدرسة أو في مجال التوجيه الأسري والزوجي، إضافة إلى مشكلات الفرد المهاجر، والاغتراب الاجتماعي، ومشاكل الانتماء والهوية.

نظرية الدور

مناقشة النظرية :

ظهر مصطلح الدور على يد الأنثروبولوجي الأمريكي رالف لنتون (1893-1953)، وقد انتقل هذا المصطلح من المجال الأنثروبولوجي إلى مجال البحث الاجتماعي، ولا تتعلق هذه النظرية بمدرسة من مدارس علم الاجتماع، بل تشكلت نتيجة جملة من النظريات والإسهامات والنقاشات بين مدارس مختلفة، ويوجد الدور في الجماعة حين تحدد أعرافاً وتوقعات تختص بفئات معينة من الأفراد، وبالتالي يظهر التمييز الاجتماعي بينهم تبعاً للدور المتوقع في الجماعة.

ميز (رالف لنتون) سمتين للأدوار الاجتماعية، فهناك أولاً السمة الوضعية، وثانياً السمة الدينامية الحركية لدور الفرد، وتحددها الأنساق الثقافية، ويحدد الأفراد أنفسهم كأعضاء في مجتمع، وفق أوضاعهم في الأنساق الثقافية التي تحدد أدوار الأفراد فيها، فوضع الفرد عبارة عن مثل ثقافية تحمل في طياتها الحقوق التي يتمتع بها الفرد والواجبات التي تترتب عليه.

ويمكن القول بأن أول من تناول فكرة الدور هو ماكس فيبر (1864-1920) من خلال نظريته الفعل الاجتماعي، التي تصف المجتمع بأنه مركب من العلاقات الإنسانية المتبادلة التي تنطوي على سلوكيات ذات معنى لأعضائه وهو ما يعني بأحد الوجوه أنهم كأعضاء يقومون بأدوار متوقعة من قبل الآخرين، ويعتقد (فيبر) أن على علم الاجتماع التركيز على الفعل الاجتماعي على نقيض من دراسة دوركهايم التي تتناول البنية الاجتماعية، فهو (أي فيبر) يركز على الأفكار والدوافع البشرية في تناوله التغير الاجتماعي.

ويخلص (فيبر) إلى أن البنية الاجتماعية تتشكل على أساس التفاعل المتبادل بين الأفراد، ولذلك يصبح السلوك الفردي وموقعه أساس دراسة الواقع الاجتماعي، ويعتقد أن الفعل الاجتماعي نتاج للمعنى الذاتي الذي يخلعه الأفراد على سلوكهم، لكن الفعل الاجتماعي للفرد يأخذ بالحسبان سلوك الآخرين وتوجهاتهم، بهذه الطريقة يؤدي مفهوم الفعل الاجتماعي عند (فيبر) إلى المعنى ذاته الذي تؤدي إليه نظرية الدور، فالفعل الاجتماعي الذي يؤديه الفرد هو فعل متوقع من قبل الأفراد الآخرين.

ويتشكل الدور عبر آليات اجتماعية عديدة، أهمها التعلم، فالتنشئة الاجتماعية كفيلة بتعليم الأفراد لأدوارهم المتوقعة اجتماعياً، فالدور يتوقع أن يحققه الفرد في الوضعية الاجتماعية التي فرضت عليه أو هو تحدد من خلالها، ويرى أتباع المدرسة الوظيفية أن الأدوار الاجتماعية ثابتة وغير متغيرة، وهي تعتبر حقائق اجتماعية، ووفق هذا التفسير الوظيفي فالأفراد يتعلمون أدوارهم وفق موقعهم من بنية المجتمع، ويؤدونها بذات الطريقة المتوقعة، وهي لا تخضع للتفاوض أو المساومة.

وعلى أساس مفهوم الدور يقدم تالكوت بارسونز (1902 -1979) نموذجه في التنظيم المعياري للسلوك، ووفق نظرية (بارسونز) الاجتماعية، فإن الأدوار تتحدد وفق توقعات منتظمة تنبع من سياق التفاعل التي تحتوي فعل الفرد، وتحفز الفرد على الالتزام بدوره الاجتماعي.

ويعتمد تحليل (بارسونز) في نموذجه على الفعل بوصفه الوحدة الصغرى، وهي تتضمن الانفعال والوسائل والغايات والبيئة التي تشتمل على المعايير والقيم، وتتركز مهمة عالم الاجتماع في هذا السياق على فهم الكيفية التي يجري بمقتضاها الاختيار ضمن هذه المحددات، فالبيئة لا تحتوي على القيم والمعايير الاجتماعية وحسب، بل هنالك أيضاً الأفكار التي تؤثر في اختيارنا للأهداف والوسائل.

ويطرح عالم الاجتماع الوظيفي روبرت ميرتون (1910 -2003) إشكالية أساسية في تناول مفهوم الدور، ألا وهي إشكالية تمفصل الدور في نظام الأدوار، وهي تعبر عن مشكلة التوزع الهرمي للقوة داخل المجتمع، فنظام الأدوار يتسم بتوزع للقوة يسهم بثباته، فالأفراد لا يتساوون بالقوة، كما أنهم لا يقدمون توقعات متماثلة أو متشابهة، وبالمقابل فلا يمكن فرض توقعات فرد أو جماعة ما إلا في حالة احتكار القوة التي تسمح بفرض التوقعات على الأفراد، وبالتالي ففشل أي سلطة – سواء أكانت فرداً أم جماعة – في فرض توقعاتها يؤدي إلى نشوب صراع في نظام الأدوار يسميه (ميرتون) صراع التوقعات.

ويقترح (ميرتون) أن طبيعة الدور المرتبطة بوضعية محددة داخل المجتمع تشتمل مجموعة كاملة من السلوكيات تجاه الآخرين، وهذا ما يؤدي إلى توقع الأفراد الآخرين لسلوك الفرد، وبنفس الطريقة توقع الفرد لسلوك الآخرين، ولما كان كل فرد يلعب عدة أدوار معاً، ورغم أن توقعات الأدوار المختلفة للفرد الواحد تمتلك أساساً مشتركاً، إلا أن هنالك احتمال لوقوع الفرد في تناقض بين الأدوار، وبالتالي تناقض بين التوقعات.

وتوجه لآراء (ميرتون) في الدور الاجتماعي انتقادات عدة، أبرزها تعويله على إجماع العرف في المجتمع، كما أن فكرة الدور لديه تشير إلى التوقعات الاجتماعية الراسخة التي تفرض على الفرد ويتوجه من خلالها، كما يبرز رأي المدرسة التفاعلية الرمزية الذي يقول بأن الأفراد هم الذين يخلقون أدوارهم ويتيحونها لأفراد آخرين، فالأدوار وفق هذه المدرسة لا تشكل حتميات ثابتة في فعل الفرد، ويؤكد (تورنر) في هذا السياق أن الأدوار مكتسبة بوصفها توجيهات تتيح للفرد التطور في إطارها، فالإطار الثقافي لا يحدد إلا خطوطاً عريضة لا تلزم الفرد بدور محدد، بل تضع له الإطار

العام للفعل، وبهذا يصبح الدور الاجتماعي قابلاً للنقاش من قبل الفرد حول كيفيته، وقابلية تطبيقه، وما هو متوقع منه، فالأفراد يعيدون صياغة أدوارهم في كل موقف في خضم التفاعل مع أفراد آخرين.

نظرية الدور في مجال الإرشاد الاجتماعي:

يقدم مفهوم الدور الاجتماعي العديد من الأفكار التي تخص مجال الإرشاد الاجتماعي، فغالباً ما يعتبر أداء الفرد لدوره الاجتماعي بنجاح علامةً لسلوكه السوي، ودليلاً على نجاح شخصيته، واحترام الوسط الاجتماعي له، وهذا ما يشكل صلب وظيفة المرشد الاجتماعي، وجوهر أهدافه، إذ يستهدف الإرشاد الاجتماعي مساعدة الفرد على التكيف مع مجتمعه، واكتساب احترامه، وحل مشاكل المسترشد، والوصول بأدائه السلوكي إلى درجة النجاح، واتخاذ القرارات الناجحة والمتناسبة مع المواقف التي تعترضه.

وتطرح نظرية الدور الاجتماعي العديد من المشاكل التي تشكل موضوعاً للإرشاد الاجتماعي، فهي تتناول مشكلة تكيف الفرد مع الدور الذي يشغله، وكيفية تعامله مع توقعات المجتمع منه، كما تطرح مشكلة صراع الأدوار، فالفرد الذي يشغل أكثر من دور في الآن ذاته قد يجد نفسه في صراع بين أدواره المتعددة، ويمكن تطبيق هذه النظرية على مجال المؤسسات التعليمية، وفي المجالات المهنية، ومن أبرز الأمثلة على مشكلة صراع الأدوار مشكلة المرأة العاملة، التي قد تؤدي إلى عدم قدرتها على التوفيق بين رعاية الأطفال وأداء عملها المهني، ما قد ينعكس بدوره على أطفالها.

نظرية الأنساق الاجتماعية

❖مناقشة النظرية :

وضع هذه النظرية عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز (1902-1979)، وشكلت نظريته نموذجاً لحقبة علم الاجتماع المعاصر، وهي عميقة التأثير في النظريات الاجتماعية الأخرى، ويمكننا القول بأن جل النظريات الأخرى لا وبأن تكون أخذت عنها وانهمكت في الرد عليها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن كل واحدة منها كونت بنيتها النظرية المستقلة.

هدف مشروع (بارسونز) النظري إلى وضع نظرية عامة في علم الاجتماع، تسمح بتفسير الظواهر الاجتماعية بشكل شمولي، وارتكزت محاولاته في البداية على بناء نموذج واقعي مصغر، محللاً أجزاء النظام الاجتماعي البنائية، متناولاً مشكلتين أساسيتين هما: علاقة النظام الاجتماعي ببيئته وهي مشكلة التكامل، والمشكلة الثانية تتعلق بالصلات المتبادلة بين أجزاء هذا النظام، وبالتالي فهو حتى ذلك الحين لما يخرج عن تقاليد المدرسة الوظيفية، إذ يتناول النظام الاجتماعي بوصفه كائناً حياً يتكيف وتتكامل أعضاؤه، ورغم أن (بارسونز) لم يتوقف يوماً عن كونه وظيفياً، إلا أنه ومع حلول حقبة الستينات بدأ يشرع في تطوير دراسته النظرية والاجتماعية بما يتجاوز الوظيفية ذاتها.

وينتقل (بارسونز) من دراسة الفعل الاجتماعي للفرد، إلى دراسة البنى والنظم الاجتماعية، وبالتالي فهو يتناول فعل الفرد في سياق نظام اجتماعي، حيث لا يمكن عزل الفرد عن النسق الاجتماعي، رافضاً وجهة النظر السيكولوجية التي تقول بأن الأنساق الاجتماعية تتأتى عن عمل وفاعلية الشخصية الفردية، فالعلاقة بين الشخصية والنسق الاجتماعي

ليست محض صدفة، بل هي تخضع للاتصال بين المستويين عن طريق النسق الثقافي، حيث تعمل التوجيهات القيمية بتحقيق التماسك بين شخصية الفرد والنسق الاجتماعي، فالنسق الثقافي يقدم المعنى اللازم لتماسك النظام الاجتماعي.

يتطور النسق الاجتماعي من أدوار المكانة، حيث تتكون شبكة من المراكز التي ترتبط بها توقعات سلوكية، وعلى أساس سلسلة من النتائج المتوقعة والتي تنطوي على الثواب والعقاب، وبهذه العملية تتم بلورة المؤسسات الاجتماعية، حيث تتعزز العلاقات الاجتماعية بانقضاء زمن معين، وذلك في حالة ثبات أنماط السلوك المرتبطة بكل دور، بغض النظر عمن يشغل هذا الدور، هكذا تتكون المؤسسة التي تشتمل على شبكة من الأدوار الاجتماعية و الوظيفية، تحكمها مجموعة من المعايير والقوانين الثابتة.

ويتألف النسق الاجتماعي لدى (بارسونز) بالمقام الأول من عدد من الأفراد الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض في موقف ما، كما يشتمل هذا النسق على أفراد مدفوعين باتجاه تحقيق أقصى درجة من إشباع حاجاتهم في المقام الثاني، ومن ثم نسق من الرموز المشتركة التي تتيح الاتصال الاجتماعي بينهم، ويشكل نسق التفاعل الثنائي الصيغة الثابتة والنموذج الأولي للأنساق الاجتماعية، فهي عملية يتم فيها التفاعل بشكل تام وكامل بين فردين أو أكثر، حيث يتوافق كل منها مع الآخر ويوافق توقعاته، ويجعل (بارسونز) علاقة التفاعل الثنائي هذه نقطة مرجعية لكل تحليل للعملية الاجتماعية، وبهذا تكون وحدة الفعل الصغرى أساس كل بنية نسقية اجتماعية لاحقة.

وإذا كان النسق الاجتماعي متضمناً في وحدة الفعل الصغرى، فإنه ليس الوحيد، فوحدة الفعل الصغرى تتطور إلى شكل المؤسسة والنسق الاجتماعي على أساس التفاعل المتبادل وتوزيع الأدوار بين الأفراد، وهذا يعني أن هنالك نسق الشخصية الذي يعني أن هنالك فاعلاً يستهدف إشباع الحاجات، وهذا يستتبع أيضاً أن القيم والمعايير التي تتيح تماسك النظام الاجتماعي تكون بدورها نسقاً ثقافياً، ومن ثم فالمنظومة الاجتماعية بكليتها تدخل في علاقة تكيف مع البيئة المحيطة، وهذه الأخيرة تكون نسقاً آخر تتعامل معه المنظومة الاجتماعية ككل.

بقي أن نشير أن الأنساق الاجتماعية وفق مستوياتها المختلفة تدخل في علاقات مختلفة فيما بينها، كما أن الفرد ذاته يدخل في عدة أنساق مختلفة، وبالتالي قد يشغل عدة مكانات ووظائف اجتماعية في آن، فأي تناول أو دراسة فردية يجب أن تتم عند تحديد انتمائه للنسق أو أنساق محددة، إذ أن هذه الأنساق متداخلة رغم تمتعها بالتميز النسبي الذي يسمح لنا بالقول بأنها مستقلة عن بعضها البعض.